روايات مصرية للجيب



ملف المستقبل

سرى جدا!!

٨٩

البركان

د. نبيل فاروق


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ـ قلب الجحيم ..

ارتفعت درجات الحرارة أربع درجات مئوية دفعة واحدة ، على نحو لم يسبق حدوثه ، فى القرن الحادى والعشرين ، وتضاعف الإحساس بالحرارة والقيظ ، فى تلك الفترة من منتصف الصيف ، وخاصة فى الصحراء الغربية ، حيث التهبت الرمال ، وتمدَّد الهواء الملاصق لها ، وراح يتراقص على نحو عجيب ، مضفياً أشكالاً مخيفة ومثيرة ، على كل ما يتحرَّك بالقرب من تلك الواحة ، فى قلب الصحراء الغربية ..

ومن بعيد بدا شكل متماوج مهتز ، يقترب فى إيقاع رتيب من الواحة ، ثم لم يلبث ذلك الشكل أن اتضح تدريجيًا فى بطء ، حتى أصبح واضحاً ، على هيئة بدوى فى زيه المميَّز ، الذى لم يتغيَّر أو يتطوَّر منذ عشرات ومئات السنين ، وهو يمتطى جمله ، فى مشهد يصعب تحديد زمن انتمائه ، على نحو سيثير حتماً دهشة واهتمام أى مدنى ، من القرن الحادى والعشرين ..

ولم تمض لحظات ، حتى ظهر بدوى آخر ، على متن

جمل ثان ، لم يلبث أن لحق بالأوّل ، وقال وهو يمسح العرق الغزير ، المتصبّب عن وجهه :

ـ ها هي ذى الواحة .. حمداً لله .

مسح الثانى عرقه بدوره ، وألقى نظرة على الواحة ، قبل أن يقول فى إرهاق واضح :

ـ حمداً لله .. لم أتصوّرها بعيدة إلى هذا الحد .

تردّد الأوّل لحظة ، ثم قال :

ـ قل لى يا شيخ (حازم) .. لماذا لانبتاع واحدة من تلك السيارات ، التى تخترق الصحراء ، وتعبر الرمال فى يسر وسهولة ؟ .. لقد رأيت بعضها يطير على وسادة من الهواء .

مطّ الشيخ (حازم) شفتيه ، وقال :

ـ لا .. لا ياشيخ (حسن) .. لن نتخلّى عما اعتاده الآباء والأجداد .

غمغم الشيخ (حسن) :

ـ ولكن كل شيء يتقدّم ويتطوّر ياشيخ (حازم).

هزّ الشيخ (حازم) رأسه فى عناد وإصرار ، وهو يقول :

ـ فليفعلوا ما يحلو لهم ، ولكن الواحة هى الواحة .. ستبقى هكذا أبد الدهر ، ولن تتحوّل يومًا إلى شيء آخر .

قال الشيخ (حسن) :

من يدرى ؟

التفت إليه الشيخ (حازم) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟

ارتبك الشيخ (حسن) ، وقال :

ـ لست أعنى شيئاً ياشيخنا الأكبر ، ولكننى تذكّرت بعض الأشياء ، التى قرأها حفيدى فى مدرسته ، والتى تقول : إن جبل المقطم نفسه كان فى أحد العصور غارقا فى ماء البحر ، و ..

قاطعه الشيخ (حازم) فى غضب :

ـ ويحك يارجل !.. أى هراء هذا ؟.. لاشيء يتبدّل ويتطوّر ، على هذا النحو العجيب .. الجبال ستبقى جبالاً ، والواحة واحة ، والصحراء ستبقى أبد الدهر ..

قاطعه فجأة هدير قوى ، أتى من تحته مباشرة ، فتطلّع إلى الجمل ، ثم إلى رمال الصحراء ، وهو يقول فى توتر :

ـ ما هذا بالضبط ؟

بدا شيء من الخوف والقلق على وجه الشيخ (حسن) ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. إنه صوت مخيف ، يبدو وكأنه ينبعث من تحت رمال الصحراء ، و ..

انطلق فجأة ذلك الهدير القوى مرة أخرى ، وارتجّت الأرض تحتهما فى عنف ، وتحرّك الجملان فى ذعر واضح ، جعل الشيخ (حازم) يصرخ :



وانطلق الشيخ (حسن) يحاول الفرار ، إلا أن نافورة الحمم التهمته مع جمله فى لحظة واحدة ...

ـ ما هذا بالله عليك ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى تضاعف الارتجاج فى قوة ، واهتزت الأرض وكأنها قد تعرضت لزلزال رهيب ..

ثم انشقت فجأة ..

انشقت الأرض لتكشف فجوة كبيرة ، تحت جمل الشيخ (حازم) مباشرة ، فصرخ الشيخ (حسن) :

ـ احترس ياشيخ (حازم) .

ولكن صيحة التحذير لم تؤت ثمارها ، فقبل أن تنطلق من حلق الشيخ (حسن) ، كان الشيخ (حازم) وجمله قد غابا فى غياهب الفجوة ، التى تصاعدت منها أبخرة كثيفة ، تراجع أمامها الشيخ (حسن) بجمله ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! .. ما هذا ؟ ما هذا ؟

وفجأة انطلقت الحمم ..

نافورة من الحمم الملتهبة ، انطلقت فجأة من قلب الصحراء ، ومن وسط الرمال ، وارتفعت لمسافة عشرة أمتار ، قبل أن تهوى مرة أخرى على الواحة والصحراء المحيطة بها ..

وانطلق الشيخ (حسن) يحاول الفرار ، إلا أن نافورة الحمم التهمته مع جمله فى لحظة واحدة ، ثم انقضت على

الواحة الخضراء ، وراحت تنهال عليها كأمطار من النار ، تلتهم الأخضر واليابس ..

وتعالى الصراخ والعويل ، والنيران تشتعل فى كل مكان ، وتختلط بأبخرة كثيفة ، تصاعدت من نبع الماء ، وهو يغلى ويفور ..

واستغرق الأمر نصف ساعة فحسب ، وبعدها هدأت نافورة الحمم ، وهدأ ذلك البركان ، الذى تفجّر فجأة فى قلب الصحراء ..

هدأ بعد أن التهم واحة ..

واحة كانت خضراء ..

* * *

«الفريق كله مكتمل ..» .

نطق (نور) هذه العبارة ، وهو يبتسم فى ارتياح ، وعيناه تتطلعان إلى كل فرد من أفراد فريقه فى سعادة ..

كانت واحدة من المرات القلائل ، التى يكتمل فيها الفريق ، دون إصابات أو انهيارات ، منذ فترة طويلة ، لذا فقد بدت (سلوى) أيضاً مبتهجة ، وهى تقول لابنتها (نشوى) :

- إنها مناسبة تستحق الاحتفال .. أليس كذلك ؟

ضحكت (نشوى) ، وهى تقول :

- بالتأكيد .. إننا نبدو كفريق جديد .

هزّ (محمود) كتفيه ، وقال :

- ولكنه يمتلك خبرات ممتازة .

ضحك (رمزى) ، وقال :

- حذار من الغرور ، وإلا أصابتك عقدة العظمة ياصديقى .

تلفّت (محمود) حوله ، وهو يقول مداعباً :

- من هذا الذى يتحدث ؟! .. كمبيوتر التحليل النفسى الجديد ؟

انفجر الجميع ضاحكين ، فى حين قلّد (رمزى) الصوت المعدنى لأجهزة الكمبيوتر ، وهو يقول :

- بيب .. بيب .. تحذير .. يوجد هنا خبير أشعة مختل عقليًا .. بيب .. بيب .

تعالت ضحكاتهم الصافية مرة أخرى ، قبل أن يقول (نور) :

- أتعلمون من ينقص الفريق الآن ؟

أجابته (نشوى) فى سرعة :

- الدكتور (حجازى) و (مشيرة محفوظ) .

قال (رمزى) على الفور :

- الدكتور (حجازى) و (مشيرة) ليسا ضمن أفراد الفريق .

نطقها بطريقة استنكارية تماما ، فتطلع إليه الجميع فى دهشة ، وقال (نور) :

- يمكنك اعتبارهما عضوى شرف .

احمر وجه (رمزى) ، وهو يقول :

- بالطبع .. لم أقصد شيئا .

منحته (نشوى) ابتسامة حانية ، وهى تقول بصوت خفيض :

- بالتأكيد .

ابتسمت (سلوى) ، وهى تتبادل مع (نور) نظرة جانبية ، فى حين أطلق (محمود) ضحكة مرحة ، وهو يقول :

- من الطبيعى أن تتحيزى له يا (نشوى) .

تخضب وجه (نشوى) بحمرة الخجل ، وهى تتمتم :

- لماذا ؟

لم تكن تحتاج فعليًا إلى الجواب ، ولكنها نطقت السؤال فى تلقائية ، ثم تضاعف احمرار وجهها ، وضحك (محمود) مرة أخرى ، وهو يقلد بدوره صوت وأسلوب الكمبيوتر ، قائلًا :

- بيب .. بيب .. درجة الاحمرار تتزايد .. بيب .. بيب ..

خيل إليه فجأة أن عبارته قد ترددت بصدى عجيب فى المكان ، عندما ارتفع صوت مباغت :

- بيب .. بيب .. بيب .

عقد حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :

- عجبًا ! .. يبدو لى أن ..

قبل أن يتم عبارته ، كان قد فهم الموقف بسرعة مناسبة ، فقد هب (نور) من مقعده ، وقال فى حزم :

- معذرة يا رفاق .. إننى مضطر للانصراف .

ثم اندفع مغادرًا المكان بأقصى سرعة ، والجميع يتابعونه بأبصارهم ، قبل أن يتمتم (محمود) :

- يبدو أننا بصدد مهمة جديدة يا رفاق .

لم يجب أحدهم ، وإن امتلأت نفوسهم بالشعور نفسه ، كلما بدأت مهمة جديدة ..

شعور الرهبة ..

والخوف ..

* * *

انطلق (نور) بسيارته ، وعقله يفكر فى عمق ..

لقد استدعاه القائد الأعلى هذه المرة بأسلوب واضح ومسموع للآخرين ، وهذا لايحدث عادة إلا فى ظروف خاصة بالغة الأهمية ..

وبالغة الخطورة ..

امتلأ كيانه بهذه الفكرة ، حتى بلغ مبنى المخابرات العلمية ، فأوقف سيارته واجتاز فى صبر إجراءات

الأمن ، ثم اتجه إلى قسم خاص ، حيث حملته أسطوانة شفافة إلى أسفل ، وتوقفت أمام باب حجرة القائد الأعلى ، وهناك ارتفع صوت كمبيوتر الأمن يقول :

ـ اكشف عن شخصيتك .

أجاب (نور) ، وهو ينتصب فى وقفة عسكرية صارمة :

ـ الرائد (نور الدين محمود) .. القسم الخاص .

هبط شعاع بنفسجى رفيع على وجهه ، من ثقب خاص أعلى الباب ، وراح يجوس وجهه لحظات ، ثم اختفى ، وتحرك باب المكتب فى بطء ، فدلف (نور) إلى الحجرة ، وسمع القائد الأعلى يقول :

ـ تقدم يا (نور) .

اتجه إليه (نور) بخطوات سريعة ، وقال وهو يؤدى أمامه التحية العسكرية :

ـ الرائد (نور الدين) فى خدمتك ياسيدى .

أشار إليه القائد الأعلى بالاسترخاء ، وقال :

ـ يبدو أننا نحتاج إلى فريقك فى مهمة خاصة يا (نور) .

أجابه (نور) على الفور :

ـ الفريق كله رهن إشارتك ياسيدى .

قال القائد الأعلى :

ـ هل بلغتك أخبار البركان العجيب ، الذى تفجر فجأة ، فى قلب الصحراء الغربية يا (نور) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، وقال :

ـ نعم ياسيدى .. لقد غطت شبكة (أنباء الفيديو) الخبر تغطية كاملة ، ونقلت إلينا مشاهد رهيبة ، للفجوة التى خلفها البركان ، والواحة التى أبيدت عن آخرها ، وتحدثت عن فريق علماء ومهندسى الجيولوجيا ، الذين قرروا الهبوط داخل الفجوة ، والبحث عن سر هذا البركان العجيب .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ وهنا تكمن المشكلة يا (نور) .

سأله (نور) فى حذر :

ـ أية مشكلة ياسيدى ؟!

قال القائد الأعلى :

ـ فريق الجيولوجيين هذا (*) ، كان يتكون من قسمين .. قسم يدخل إلى الفجوة ، لفحص ما تحويه ، والجزء الآخر يبقى فى الخارج ، لتلقى رسائل القسم الأول ، ولفحص تأثير التربة على الحمم فى الخارج ..

(*) الجيولوجيا : علم طبقات الأرض ، ويشمل دراسة أصل الأرض ، وتاريخ تطورها ، وبنيانها ، والأحداث التى مرت بها ، وغيرها .. وهو يهتم أيضا بدراسة الصخور ، والمعادن ، وطبقات الأرض ، والحقب الجيولوجية ، وتغيرات كل هذا .

وصمت لحظة ، ثم استطرد بضيق مباغت :

ـ حسن .. لقد اختفى الفريقان .

اتسعت عينا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ اختفيا ؟!

أجابه القائد الأعلى :

ـ نعم .. فجأة لم يعد لهما أثر .. اختفى سبعة رجال وسيدتان ، وتحطمت معدات حديثة ، يتجاوز ثمنها الملايين العشرة ، دون سبب منطقى ، ودون أن تسجّل آلات المراقبة شيئاً .

قال (نور) :

ـ ربما تفجّر البركان مرة أخرى .

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لم يتفجّر يا (نور) ، ولم تحدث ارتجاجات أرضية ، أو هزات ، أو زلازل ، أو أية ظواهر طبيعية أخرى .. لقد بدأ الفريقان مهمتهما ظهر أمس ، ثم اختفيا دون أدنى أثر صباح اليوم .. هذا كل شىء .

ردّد (نور) فى دهشة :

ـ كل شىء ؟! .. ولكن هذا مستحيل ياسيّدى ! . لا يمكن أن يختفى أى شىء هكذا .. لابد أن يترك خلفه ولو مجرّد أثر بسيط .

أجابه القائد :

ـ بالتأكيد ، ولقد ترك الاختفاء الآلات المحطّمة .

سأله (نور) بسرعة :

ـ وكيف تحطّمت ؟

أجاب القائد ، وهو يلوّح بكفه :

ـ هذا ما يحاول خبراؤنا دراسته ، فقد تحطّمت المعدات كلها بطريقة عجيبة ، إذ بقى غلافها الخارجى سليمًا ، فى حين تهشم تماما كل شىء داخلها .

بدت الدهشة أكثر على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـ كيف يحدث هذا ؟

مطّ القائد شفتيه ، وقلب كفيه ، وهو يقول :

ـ لا أحد يدرى بعد .

بدت علامات التفكير العميق على وجه (نور) ، فاستطرد القائد الأعلى ، وهو يراقبه فى اهتمام :

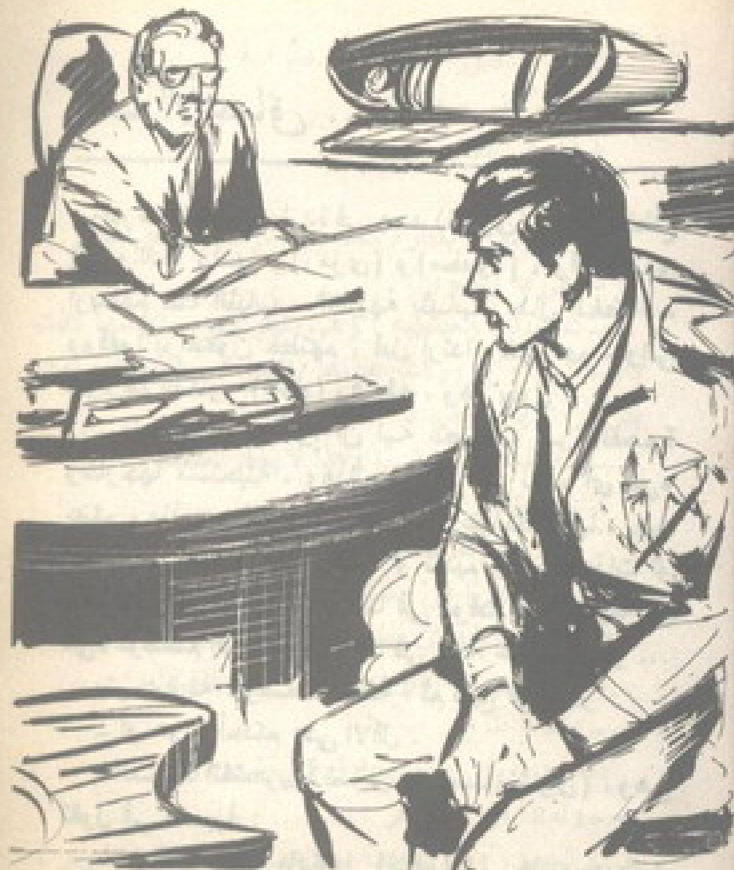
ـ هناك نقطة أخرى يا (نور) ، تستحق منك الاهتمام والتفكير ، فأجهزتنا تعجز الآن عن التقاط مايدور فى أعماق الفجوة .

تطلع إليه (نور) فى حيرة وتساؤل ، فاستطرد :

ـ هناك شىء ما ، يؤدى إلى حدوث شوشرة قوية ، على كل أجهزتنا ، ونعجز معها عن التقاط أى شىء .

سأله (نور) :

ـ أى نوع هى من الشوشرة ؟



لم يعلن عقله جوابًا خاصًا ، فتمتم فى توتر ملحوظ :
ـ إنك على حق يا سيِّدى ...

أجابه القائد الأعلى ، بعد لحظة من الصمت :

ـ شوشرة إليكترونية .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وخفق قلبه فى عنف ..
شوشرة إليكترونية ؟! ..
ما الذى يعنيه هذا ؟! .
ما الذى يمكن أن يشير إليه ؟!
هل يوجد شىء إليكترونى فى أسفل ؟ ..
فى أعماق الأرض ؟! ..

لم يعلن عقله جوابًا خاصًا ، فتمتم فى توتر ملحوظ :

ـ إنك على حق يا سيِّدى .. إنها مهمة مثالية للفريق .

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لقد أعدّ لكم الدكتور (ناظم) ورجاله ثيابًا خاصة ، يمكنها احتمال درجات الحرارة المرتفعة ، ولكنها لن تفيد بالطبع ، إذا ما اندلعت الحمم مرة أخرى .

اعتدل (نور) ، وقال فى حزم :

ـ هذا لا يهمّ ياسيِّدى .. سيؤدى فريقنا عملـه ، ويكشف لغز ذلك البركان الغامض ـ بإذن الله ـ حتى ولو اضطر للغوص فى قلب الأرض .

والتقى حاجباه فى عزم ، وهو يضيف :

ـ أو فى قلب الحمم .

* * *

٢ ـ الأعماق ..

سرت قشعريرة باردة فى جسد (نشوى) ، وهى تتطلع إلى والدها وأمها و(رمزى) و(محمود) ، وقد ارتدى أربعتهم تلك الثياب ، الشبيهة بثياب رجال الفضاء ، ووقفوا يراجعون خطتهم ، قبل ارتداء خوذاتهم ، وإلى جوارهم الدكتور (ناظم) وفريقه ، وهو يقول :

ـ ينبغى أن تعلموا أن أية اتصالات بين الفجوة وخارجها مستحيلة ، وهذا يعنى أننا لن نعلم أى شىء عنكم ، منذ هبوطكم داخلها ، وحتى عودتكم منها ـ بإذن الله ... لن يمكننا معاونتكم ، أو تقديم أية مساعدات أو معلومات لكم .. كما لن يمكننا فى الوقت ذاته معرفة أى شىء توصلتم إليه داخلها ، إلا فى حالة عودتكم ، أو ...

بتر عبارته ، وصمت لحظة ، ثم تابع فى توتر :

ـ أو عودة أحدكم على الأقل .

عادت تلك القشعريرة تسرى فى جسد (نشوى) ، وهى تقول فى عصبية :

ـ ما الذى تعنيه يادكتور (ناظم) ؟ .. هل سيهبطون جميعًا فى قلب الفجوة ، دون ضمان واحد ؟

أجابها الدكتور (ناظم) فى صرامة :

ـ دون أدنى ضمانات .

هتفت فى حدة :

ـ كيف هذا ؟

رمقها (نور) بنظرة حاسمة صارمة ، وهو يقول :

ـ كفى يا (نشوى) .

بدت شديدة العصبية ، وهى تنظر إليه ، إلا أنها لاذت بالصمت ، واغرورقت عيناها بالدموع ، فاحتوتها أمها بين ذراعيها ، وقالت :

ـ إنه عملنا يا بنيتى ، وهذا لايخفى عليك .

قالت (نشوى) بصوت باك :

ـ أريد الهبوط معكم .

أجابها (نور) فى حنان :

ـ كلّا .. ينبغى أن يبقى أحدنا فى الخارج .

قالت ودموعها تقاوم ، للفرار من مقلتيها :

ـ ولماذا أنا ؟

تمتم (نور) ، وهو يحاول أن يبتسم :

ـ ولماذا أى أحد آخر ؟

لم تجب ، وإن نجحت دموعها أخيرًا فى الفرار ، فانهمرت على وجنتيها ، وهتف (رمزى) :

- لا .. لست أحب أن يكون آخر ما أراه هو دموعك .
أجابته مرتجفة :
- ستراها مرة أخرى ، عندما تعود سالمًا بإذن الله .
اقترب منها ، ومسح دموعها بأنامله فى حنان ، فهمست فى مرارة :
- (رمزى) .. لدى مشكلة خاصة .
سألها فى حيرة وقلق :
- أية مشكلة ؟
قبل أن تجيبه، ارتفع صوت الدكتور (ناظم)، وهو يقول:
- والآن هل نكمل حديثنا ؟
التفت إليه الجميع ، فتابع فى توتر :
- نفس الشوشرة الإليكترونية ، التى تمنعنا من فحص الفجوة ، ستمنعكم أيضًا من حمل أية أجهزة إليكترونية فى الأعماق ، لذا فستكتفون بعداد (جايجر) صغير ، لقياس أي نشاط إشعاعى ، ومسدسات الليزر التى تحملونها ، وآلة تصوير فوتوجرافية عادية ؛ لأن الآلات الهولوجرافية لن تعمل أيضًا .
قالها وهو يناول كلًا منهم مسدسه ، ويناول (محمود) جهاز قياس الأشعة ، ثم يعطى (سلوى) آلة التصوير ، ثم أضاف :

- والآن هيا .. سنبدأ الآن .
اغرورقت عينا (نشوى) مرة أخرى بالدموع ، وهى تصافح الجميع ، وتتمنى لهم النجاح ، ثم راقبتهم فى اهتمام وقلق ، وهم يتجهون إلى الفجوة ، ثم لم تلبث مشاعرها أن غلبتها ، فأشاحت بوجهها ، واندفعت نحو سيارة والدها ، وقفزت داخلها ، ثم انطلقت بها مبتعدة ، فهتفت أمها :
- (نشوى) .. إلى أين ؟
ربَت (نور) على كتفها ، وهو يقول :
- اتركيها يا (سلوى) .. إنها تحتاج إلى البقاء وحدها بعض الوقت .
أما (رمزى) ، فقد راقبها فى قلق ، وكلماتها الأخيرة تتردد فى أذنيه ..
لدى مشكلة خاصة ..
ترى ما الذى تعنيه ؟ ..
ما نوع مشكلتها بالضبط ؟ ..
ولماذا وصفتها بأنها خاصة ؟! ..
شعر برغبة عارمة فى اللحاق بها ، وسؤالها عن مشكلتها ، ولكنه سمع (نور) إلى جواره يقول :
- هيا يا رفاق .. سنبدأ على بركة الله .

وهنا كان لابد أن يلقى (رمزى) كل أفكاره خلف ظهره .

وأن يبدأ مهمته ..

أما (نشوى) فقد انهمرت الدموع على وجهها غزيرة ، وهى تنطلق بسيارة والدها الصاروخية ، فوق رمال الصحراء ، وارتفع صوتها وهى تنتحب فى شدة ، وتنطلق دون هدى ، حتى توقفت على بعد ثلاثة كيلو مترات من الطريق الأسفلتى المرصوف ، وأخفت وجهها بكفيها ، وراحت تبكى فى حرارة أكثر ، ومرارة أكثر ..

ولم يكن كل هذا بسبب مهمة والدها وفريقه فحسب ، بل كان الجزء الأكبر منه بسبب مشكلتها ..

مشكلتها الخاصة ..

والمخيفة ..

* * *

كانت اللحظات الأولى رهيبة ومخيفة ، عندما هبط الفريق إلى الفجوة الواسعة ، التى أخذت تضيق تدريجيًا ، حتى أصبحت مجرد حلقة مستديرة ، تكفى لعبور رجل واحد ، فعبروها واحدًا بعد الآخر ، وما أن فعلوا ، حتى وجدوا أنفسهم داخل مكان واسع ، أضاءته مصابيحهم ، وغمغم (رمزى) :

- يبدو أن المكان سيتسع مرة أخرى .

قال (نور) :

- ولكن ما الذى يمكن أن يقود إليه ؟

تطلعوا جميعًا إلى المكان ، فى اهتمام شديد ، والتقطت له (سلوى) عددًا من الصور ، وهى تقول :

- إنه أشبه بقاعة انتظار ، لها أربعة مداخل .

قال (محمود) ضاحكًا :

- رائع .. هناك مدخل لكل منا إذن .

أجابه (نور) فى جدية :

- يبدو أن هذا صحيح يا (محمود) .

سألته (سلوى) :

- ما الذى تعنيه يا (نور) ؟

أجابها فى بساطة :

- أعنى أن كلاً منا سيفحص أحد هذه المداخل أو المخارج الأربعة ، بحثًا عن الاتجاه الذى ينبغى أن نتخذه للوصول إلى قلب البركان .

قالت فى عصبية :

- ولماذا لا نبحث كلنا فى الأماكن الأربعة ؟

أجاب فى حزم :

- لأننا لا نعلم كم سيستغرق البحث فى كل منها ، ونحن

نحتاج إلى كل دقيقة من الوقت ، فلدينا كمية أكسجين محدودة ، فى هذا الزى ، ولا يمكننا خلع خوذاتنا ، وإلا قتلتنا أبخرة البركان السامة .

تدخّل (رمزى) ، قائلاً :

ـ يمكننا أن نتبع آثار الحمم .

أجابه (نور) :

ـ آثار الحمم تمتد فى الأماكن الأربعة يا (رمزى) .

قالت (سلوى) :

ـ حسن يا (نور) .. لقد اقتنعت .

ربّت على كتفها فى حنان ، فى حين سأله (محمود) :

ـ ما المفروض أن نبحث عنه بالضبط يا (نور) ؟

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ صدقنى يا (محمود) .. لست أدرى حتى ما الذى ينبغى أن نبحث عنه .. يمكنك أن تقول : إننا نبحث عن أى شىء عجيب .

قالت (سلوى) :

ـ وماذا عن آلة التصوير ؟ .. من منا سيحملها ؟

أجابها فى هدوء :

ـ سيبقى كل شىء على ما هو عليه ، حتى يعثر أحدنا على شىء ما .

كان هذا آخر ما يمكن قوله ، وبعدها اتجه كل منهم إلى إحدى الفجوات الفرعية الأربع ..

وبدأت مرحلة جديدة ..

★ ★ ★

جلست (نشوى) داخل سيارة والدها ، تتطلع إلى الأفق فى صمت وشرود ، ثم لم تلبث أن أطلقت من أعمق أعماقها زفرة حارة ، ومسحت دموعها ، ثم أدارت محرّك السيارة ، وانطلقت بها عائدة إلى (القاهرة) ..

ولكن عقلها لم يهدأ أبدًا ..

كان يفكّر فى مشكلتها ، التى تثير ذعرها وتوترها ، وتبعث فى نفسها قشعريرة دائمة ، لا تنتهى أبدًا ..

لابد أن تبحث عن حل لهذه المشكلة ، وإلا ..

وإلا فقدت كل شىء ..

ومرة أخرى انهمرت الدموع من عينيها فى صمت ..

هناك حتمًا حل لكل ما يحدث لها ..

لقد انتبهت إلى المشكلة فجأة ، منذ أسبوعين ، ولكنها لم تعرها اهتمامًا كافيًا ، حتى جاء هذا الصباح ، وانتبهت إلى عمق التأثير ..

إنها لم تعد كما كانت ..

أو أنها ـ بمعنى أدق ـ تعود كما كانت ..

ومرة أخرى ، راحت تنتحب فى مرارة ..

لماذا هى دائمًا ؟ ..

لماذا لم تعش أبدًا حياة طبيعية بسيطة ؟ ..

لماذا تواجه كل عجيب وغريب ؟ ..

كم تمنت لحظتها لو كانت مجرّد فتاة عادية ..

فتاة لاتهتم سوى بالجمال والأناقة ، والحب ..

ومع ذكر الحب ، خفق قلبها فى قوة وعنف ، وارتسمت أمام عينيها صورة (رمزى) بابتسامته الهادئة الحنون ..

وانهمرت الدموع من عينيها أكثر وأكثر ..

ربما كان (رمزى) هو السبب الرئيسي لحزنها وآلامها .

إنه أوّل من ستفقده ، عندما يكتمل ما بدأ ..

أوّل من تنتهى علاقتها به ..

وفى انهيار ، صرخت فى قلب الصحراء :

ـ لا .. لا أريد العودة .

وضاعت صرختها وسط صحراء شاسعة .

وبلا حدود ..

* * *

تقدّم (رمزى) فى بطء وحذر ، داخل ذلك الممر الضيق ، الذى تقود إليه فجوته ، وأضاء مصباحه المكان فى صعوبة ، فبدا له المشهد أشبه بأنبوبة طويلة مستقيمة ، تمتد إلى ما لا نهاية ، وتقود إلى مناطق أكثر ظلمة ، وأكثر رهبة ..

وفى توتر ، غمغم (رمزى) :

ـ ترى إلى أين يقود هذا الشىء ؟

واصل سيره فى حذر ، وهو يتحسّس موضع قدميه فى اهتمام ، ومصباحه يجوس المكان فى إيقاع منتظم ، و ...

وفجأة لمح ذلك الشىء ..

كان مصباحه يتحرّك من اليمين إلى اليسار ، عندما لمح ذلك الظلّ ، الذى يتحرّك فى أرضية الممر ..

وعاد (رمزى) بمصباحه إلى اليمين مرة أخرى ، وصوّبه إلى أرضية الممر فى توتر ، ولكنه وجد كل شىء أمامه ساكنًا صامتًا ، فتمتم فى شىء من الحدة :

ـ مستحيل ! .. أنا واثق من أننى قد رأيت ذلك الشىء .

بقى لحظات جامدًا ، يصوّب ضوء المصباح إلى النقطة التى رآها تتحرّك ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ـ إنه ليس مجرّد خداع نظر .

اتجه نحو البقعة نفسها ، وانحنى يفحص الأرضية فى اهتمام ..

كان الممر كله مغطى بآثار الحمم ، وأرضيته مستقيمة تمامًا ، فيما عدا هذه البقعة ..

كانت منبعجة بعض الشىء إلى أعلى ..

وفى حذر ، تحسّس ذلك الانبعاج ، ثم تمتم :



اتجه نحو البقعة نفسها ، و انحنى يفحص الأرضية فى اهتمام ...

ـ لماذا يختلف هذا عن الباقى ؟!

صمت لحظات يفكر ، وتحسس الجزء المنبعج مرة أخرى ، ثم نهض قائلًا :

ـ فليكن .. سنفترض أنها مجرد خدعة بصرية .

تخطى الجزء المنبعج ، وتجاوزه فى حزم ، ثم تقدم داخل الممر ، ولكنه لم يكد يخطو عدة خطوات ، حتى شعر بحركة من خلفه ، فاستدار إلى مصدرها بسرعة ، ورأى شيئًا يرتفع ، من الجزء المنبعج ، فتراجع صائحًا :

ـ كنت واثقًا من هذا .

ولكن مع تراجعه المباغت ، تهاوت الأرض فجأة تحت قدميه ، ووجد نفسه يفقد توازنه ، ويهوى بسرعة داخل فجوة رأسية عميقة ..

وبلا قرار ..

* * *

تحسس (محمود) الأرض بقدمه فى حذر ، وهو يتقدم داخل الممر الخاص به ، وهو يقول لنفسه مبتسمًا :

ـ المفروض أن هذه التربة البركانية ، هى واحدة من أكثر أنواع التربة خصوبة(*) ، ولكن فى هذا الظلام

(*) حقيقة علمية .

الدامس لن ينبت فيها فرع واحد .. يا للخسارة !

واصل تقدّمه ، وهو يضىء الطريق أمامه بمصباحه ، وبدت له الأرضية ناعمة ومستوية ، فأضاف :

ـ من الواضح أن أحدًا لم يلج هذا الممر من قبل، وأن ..

بتر عبارته فجأة ، وهو يحدّق أمامه فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن انحنى ليفحص شيئا ما ، قبل أن يقول :

ـ ما من شك فى هذا .. إنه جزء من آثار أقدام ، طمستها الأتربة .

تحرّك فى بطء ، وهو يتابع آثار الأقدام ، التى اختفى الجزء الأعظم منها ، تحت ما بدا وكأنه آثار زحف جسم ما ، ثم انحرفت الآثار يمينا ، واختفت عند الجدار الأيمن للممر ، فاعتدل (محمود) ، وتطلّع إلى الجدار ، وهو يقول فى حيرة :

ـ من المؤكّد أن صاحب هذه الآثار لم يخترق الجدران كالأشباح .

عاد يفحص الآثار مرة أخرى ، وتأكد من أنها تنتهى عند الجدار ، فهزّ رأسه ، وكرّر :

ـ إنه لم يخترق الجدار حتمًا .

انتقل من فحص الآثار إلى فحص الجدار نفسه ، واستند إليه بكفيه ، وهو يحاول فحصه بمصباحه فى اهتمام ، و ...

وفجأة فقد توازنه ، مع انهيار جزء من الجدار ، ووجد

نفسه يهوى إلى الأمام ، ويسقط داخل تجويف جانبى ، وسط عاصفة من الأتربة ، لم تلبث أن هدأت فى سرعة ، مع غياب الهواء والرياح ، فنهض ينفض يديه من الغبار ، وهو يقول :

ـ هكذا تبدو الأمور واضحة .. لقد اختفى هذا الجزء خلف حاجز زائف من الأتربة .

انتبه فجأة إلى شىء ما ، يتكوّم فى نهاية الفجوة الجانبية ، فعقد حاجبيه ، وهو يسأل نفسه :

ـ ما هذا بالضبط ؟

اقترب من ذلك الشىء فى حذر ، وانحنى يتحسّسه ، وهو يتساءل عن طبيعته ..

كان شيئا رخوًا ، يحوى داخله قطعًا صغيرة عديدة من مواد صلبة ، غير منتظمة الشكل أو الحجم، وله ملمس عجيب، يثير فى نفسه قشعريرة غريزية غير مفهومة ، فجذب ذلك الشىء فى حذر ، وتابع بقاياه بضوء مصباحه وعينيه، و ...

وفجأة ، انتفض جسده كله فى فزع ، وصرخ :

ـ لا .

ثم تراجع كالمصعوق ، وقد تعلّقت عيناه بذلك الشىء الرخو ، واتسعتا عن آخرهما ، وأطل منهما الرعب .. الرعب الهائل .

* * *

٣ ـ الرعب ..

بلغت (نشوى) منزلها ، وأوقفت سيارة والدها في المكان المخصص لها ، ثم اتجهت إلى المنزل ، وهي تمسح دموعها في توتر ، وفتحت الباب في شرود ، ثم اتجهت إلى حجرة مكتبها ، ومدت يدها لتلتقط علبة اسطوانات الكمبيوتر من فوق مكتبتها ، و ...

وعندئذ تجمد جسدها كله ، واتسعت عيناها في ذعر ، وهي تحدق في علبة الاسطوانات ، التي لم تبلغها أصابعها ، ثم لم تلبث أن خفضت يدها ، وتطلعت إليها في ألم ومرارة ، قبل أن تجذب مقعدا ، وتعتليه ، ثم تلتقط علبة الاسطوانات ، وتهبط من المقعد ، وتتجه إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها في بطء وتثاقل ، كما لو أن كاهلها ينوء بعبء لاحدود له ، أو أن عمرها قد تضاعف فجأة مرتين ..

وأمام جهاز الكمبيوتر جلست صامتة ، تدفن وجهها في راحتيها ، وتستند بمرفقيها إلى حافة منضدة الكمبيوتر ..

كل شيء حولها يؤكد أنه ما من فائدة ..

كل شيء يتسارع على نحو مخيف ..

ظلت صامتة ساكنة لفترة طويلة ، حتى لقد بدت أشبه بتمثال جميل من المرمر ، قبل أن ترفع عينيها المبللتين بالدموع إلى جهاز الكمبيوتر ، ثم تمد أصابعها المرتجفة لتشغله ..

وبصوته المعدني الجاف ، قال الكمبيوتر فور تشغيله :

ـ مستعد للعمل .

وللمرة العاشرة مسحت دموعها ، وقالت :

ـ أريد برنامج الذكاء الصناعي .

انتقل الكمبيوتر على الفور إلى البرنامج المطلوب ، فأضافت :

ـ المشكلات العلمية غير المألوفة .

أجاب الكمبيوتر ، بعد أن انتقل إلى النقطة التالية :

ـ برنامج (م . ع . غ . م) مستعد للعمل .

تطلعت إلى الشاشة لحظات في صمت ، ثم التقطت نفسا عميقا ، وقالت :

ـ لدى مشكلة غير مألوفة ، أريد رأيك فيها .

ثم شرحت له مشكلتها كلها ..

وبكل التفاصيل ..

وانتظرت ..

انتظرت الحل ..
والأمل الأخير ..

★ ★ ★

هوى جسد (رمزى) داخل بئر عميقة ، راح يتخبط فى جدرانها فى عنف ، والرمال تهوى على رأسه فى كثافة ، حتى ارتطم أخيرًا بأرضية ترابية ، خفّفت من وقع الصدمة ، فاستلقى على ظهره صامتًا ، يلهث فى انفعال ، وانتبه إلى أنه ما يزال ممسكًا بمصباحه ، فاعتدل جالسًا ، وهو يطلق ضوء المصباح أمامه ، متمتمًا :

ـ تُرى ما الذى وصلت إليه ؟

وجد نفسه داخل قاعة واسعة ، ذات جدران صلبة ، عليها نقوش عديدة كثيرة ملوّنة ، جعلته يقول :

ـ ما هذا ؟ .. كشف أثرى جديد ؟!

شعر بآلام فى ظهره وعجزه ، وهو ينهض واقفًا ، فلوى جذعه ليتخلّص من آلامه ، ثم تنهّد قائلًا :

ـ هيا يا (رمزى) .. حاول أن تتقمّص دور عالم الآثار النشط .

اتجه نحو الجدران ، وراح يتأمّل النقوش فى اهتمام بالغ ..

كانت عبارة عن قصة مرتبة مصوّرة ، تصف هبوط

جسم كروى ضخم من الفضاء ، تخرج منه مخلوقات شبه بشرية ، وتقاتل الديناصورات والوحوش ، ثم ترقد داخل بيض عملاق ..

وهنا تفقد الرسوم والنقوش وضوحها ..

وفى حيرة سأل (رمزى) نفسه :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟! .. هل وصلت مخلوقات فضائية إلى هنا؟!

استدار بمصباحه ليفحص الجدار المقابل ، ثم أطلق شهقة قوية ..

كان الجدار بأكمله ، على حجمه واتساعه ، يحمل رسمًا واحدًا ضخمًا ، لوجه شبه بشرى ، أصلع ، وله عينان كعيون الثعابين ، مشقوقة طوليًا ..

ولم يكن هناك أى شىء آخر ..

فقط ذلك الرسم ..

وفى انفعال ، قال (رمزى) :

ـ يبدو أنه كشف أثرى رائع بالفعل .. إنه يثبت قدوم مخلوقات من كواكب أخرى إلى عالمنا ، فى عصر الديناصورات .. ياله من كشف !

أدار مصباحه ، ليفحص باقى المكان ، ثم انتبه إلى ذلك الجزء الحجرى الشبيه بالسلم ، والذى يختفى خلف حجر

ضخم ، فاتجه إليه ، قائلًا لنفسه :

ـ أهو سلم حقيقى ، أم خداع بصرى ؟

شعر بالارتياح ، عندما رأى أمامه سلمًا حجريًا صاعدًا ، يتسع لشخصين على الأقل ، فأسرع يرتقيه ، وهو يقول فى لهفة :

ـ تُرى هل يعيدنى ذلك السلم إلى الممر ؟

لهث وهو يرتقى السلّم فى قفزات سريعة ، ثم لم يلبث أن توقف فى إحباط ، عندما وجد نفسه فى النهاية أمام جدار ترابى ، وقال فى أسف :

ـ لابأس .. كان حلمًا أجمل من أن يتحقق .

كاد يعود أدراجه ، ثم راودته فكرة فحص ذلك الجدار الترابى ، فانحنى يفحصه فى عناية ، ثم دفع بعضه بأصابعه ، مغمغمًا :

ـ إنه هش إلى حد كبير .. ربما أمكننى أن ..

لم يكمل عبارته ، وإنما حوّلها على الفور إلى إجراء عملى ، وراح يحفر الجدار فى سرعة ، حتى ظهرت أمامه فجوة صغيرة ، فتألقت عيناه فى ظفر ، وغمغم :

ـ عظيم .. إلى أين تقودنا الآن هذه الفجوة ؟

مد يده عبر الفجوة ، وشعر بالفراغ خلفها ، فأضاف :

ـ يبدو أنها قاعة أخرى ، أو ...

وفجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته ، أمسكت يد قوية معصمه ، ثم جذبته ..

وارتطم (رمزى) بالجدار الترابى ، الذى انهار فى عنف ، وأثار عاصفة من التراب ، قبل أن يجد (رمزى) نفسه أمام مخلوق ..

مخلوق بشرى ..

★ ★ ★

شعرت (سلوى) بخوف شديد ، وهى تسير فى ذلك الممر الطويل ، الذى بدا لها وكأنه بلا نهاية ، وراح قلبها يخفق فى عنف طوال الوقت ، حتى قالت لنفسها فى عصبية :

ـ ماذا أصابك يا (سلوى) ؟ .. هل أصبحت غير قادرة على العمل ؟

لم تكد تنطقها ، حتى شعرت بالسخط على نفسها ، وهتفت :

ـ من قال إننى غير قادرة على العمل ؟! .. صحيح أننى أم لفتاة شابة ، ولكن هذا لايعنى أننى عجوز .

انتبهت فجأة إلى أنها تتحدث إلى نفسها ، فتضاعف حنقها ، وقالت :

ـ ماذا أصابنى ؟ ..

حاولت أن تنفض عنها الخوف والتوتر ، فانطلقت تنشد لحنًا قديمًا ، من ألحان القرن العشرين ، وهى تتقدم فى الممر ، حتى بلغت نقطة يتفرّع فيها الممر إلى فرعين ، فتوقفت تسأل نفسها :

- والآن أى الفرعين أتخذ ؟

وقفت صامتة ، تنقل بصرها بين الفرعين ، ثم قالت :

- حسن .. سأترك القرار لـ (نور) .

ضغطت زر الاتصال ، الذى يصلها بـ (نور) لاسلكيًا ، وهى تقول :

- (نور) .. (نور) .. هل تسمعنى ؟

شعرت بالقلق ، عندما سمعت لهاثه الشديد ، دون أن يجيبها ، على الرغم من ثقتها فى أنه يسمعها ، ثم هتفت فى عصبية :

- (نور) .. أجب .. أرجوك .

أتاها صوته لاهثًا ، وهو يقول :

- (سلوى) .. أنا أسمعك جيدًا ، وهذا عجيب بالفعل .

سألته فى دهشة :

- ولماذا يكون من العجيب أن تسمعنى ؟

أجابها لاهثًا :

- لأن الشوشرة الإليكترونية ينبغى أن تعوق هذا الاتصال ، و ...

لم تسمع باقى عبارته ، فقد اتسعت عيناها فى رعب هائل ، عندما شعرت فجأة بيد تمسك قدمها ، وتجذبها إلى أسفل فى قوة ..

وعندما خفضت عينيها ، رأت يدًا تغطيها الحراشيف ، تنبعث من الأرض ، وتقبض على قدمها فى قوة ..

وبكل ما يملأ نفسها من رعب وفزع ، أطلقت (سلوى) صرخة ..

صرخة ارتجت لها جدران الممر ..

صرخة رعب ..

* * *

انتفض جسد (رمزى) فى شدة ، عندما جذبته تلك اليد القوية عبر الجدار الترابى ، ووجد نفسه وسط عاصفة من الغبار ، يواجه مخلوقًا بشريًا ، فاستجمع شجاعته ، وانقضّ عليه فى عنف ، ولكن ذلك المخلوق صدّ هجومه فى حذر ثم دق على خوذته ، وتراجع بحركة حادة ، فانقضّ عليه (رمزى) مرة أخرى ، وضمّ قبضته ليلكمه ، عندما سمع عبر جهاز الاتصال بخوذته صوت (نور) يهتف :

- رويدك يا رجل .. أنا (نور) .

توقفت قبضة (رمزى) فى الهواء ، وحدّق عبر الغبار ، فى الجسد الواقف أمامه ، قبل أن يهتف :



لم تسمع باقى عبارته ، فقد اتسعت عيناها رعب هائل ، عندما شعرت فجأة بيد تمسك قدمها ...

- (نور) ؟! .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

أجابه (نور) ، عبر جهاز الاتصال :

- بل ما الذى أتى بك أنت إلى هنا ؟ .. المفروض أنك داخل الفجوة الأولى ، وأنا فى الفجوة الثالثة ، فكيف تجاوزت فجوة (محمود) ، ووصلت إلى هنا ؟

قال (رمزى) :

- يبدو أننى عبرت أسفل فجوة (محمود) .

سأله (نور) فى دهشة :

- كيف ؟

روى له (رمزى) ما عثر عليه ، وشرح له النقوش على جدران القاعة ، واستمع إليه (نور) فى اهتمام ، ثم قال :

- ربما كنا أمام ما هو أكثر من مجرد كشف أثرى يا (رمزى) .

سأله (رمزى) :

- ماذا تعنى ؟

توقف (نور) عن الحديث ، ليلتقط أنفاسه ، وهو يلهث ، ويشعر بنقص ما فى كمية الأكسجين ، أو فى المنظم الخاص بضخه ، فسأله (رمزى) :

- ماذا هناك ؟

أشار (نور) إلى منظم الأكسجين ، وقال :

- هناك عيب ما هنا .

فحص (رمزى) المنظم فى سرعة ، وقال :

- لقد أصابته ضربة هنا ، خفضت سرعة تدفق الهواء ، ويمكن تعديل هذا بفتح الصمام أكثر .

مد يده يفتح الصمام ، عندما ارتفع صوت (سلوى) ، عبر جهاز اتصال (نور) ، وهى تقول :

- (نور) .. (نور) .. هل تسمعنى ؟

تحدث إليها (نور) فى هدوء ، بعد أن توقّف عن لهاثه ، حتى أطلقت صرخة الرعب الهائلة ، فصاح (نور) :

- (سلوى) .. ماذا أصابك يا (سلوى) ؟

جاوبه صمت مطبق، فصاح وهو يعدو عائدا عبر الممر:

- يا إلهى! .. أسرع يا (رمزى) .. (سلوى) فى خطر.

انطلق (رمزى) يعدو خلفه، حتى بلغا مدخل الممر، وهناك وجدا أمامهما (محمود) ، وهو يلهث فى انفعال ، ويهتف :

- (نور) .. لن يمكنك تخيّل ماوجدته يا (نور) .

ولكن (نور) اندفع داخل ممر (سلوى)، وهو يصيح:

- فيما بعد يا (محمود) .. فيما بعد .. (سلوى) فى خطر .

صاح (محمود) :

- (سلوى) فى خطر ؟!

ثم انطلق خلف (نور) و (رمزى) ، عبر الممر الطويل ، و (نور) يقول فى توتر بالغ :

- أرجو أن نجدها على قيد الحياة .. أرجو هذا .

توقّف فجأة ، عندما وقع ضوء مصباحه عليها ، وهى ملقاة أرضا ، ثم اندفع نحوها يفحصها فى جزع ، وهو يهتف :

- ماذا أصابها ؟

فحصها (رمزى) بدوره ، قبل أن يقول :

- اطمئن يا (نور) .. إنها فاقدة الوعى فحسب .

هتف (نور) :

- ولكن ما الذى فعل بها هذا ؟

تعلّق بصر (رمزى) بحفرة صغيرة ، فى أرضية الممر ، وارتجف صوته ، وهو يقول :

- يا إلهى ! .. كيف نسيت هذا ؟

سأله (نور) :

- نسيت ماذا ؟

التفت إليه (رمزى) ، وقال :

- عندما كنت فى ممرى ، لاحظت انبعاجًا فى أرضيته ،

ولم يسفر فحصه عن شيء محدود ، ولكننى لم أكد أتجاوزه ، حتى خرج منه شيء عجيب .

سأله (نور) فى قلق :

ـ ما الذى تعنيه بكلمة شيء هذه ؟

ارتجف صوت (رمزى) أكثر ، وهو يقول :

ـ أعنى أنه شيء حى .

هتف (محمود) فى شحوب :

ـ شيء حىّ .

نطقها فى رعب هائل ، جعل (نور) يلتفت إليه فى دهشة ، ويقول :

ـ هل تشعر بالفزع إلى هذا الحد ؟

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يقول فى توتر تام :

ـ إنك لم تر ما عثرت عليه يا (نور) .

سأله (نور) :

ـ وما الذى عثرت عليه ؟

ازدرد لعابه مرة أخرى ، وقال :

ـ لقد عثرت على جثث أعضاء الفريق الجيولوجى المفقودين .

هتف (نور) :

ـ حقًا ؟!

أجابه (محمود) بإيماءة من رأسه ، وشحب صوته ووجهه أكثر ، وهو يقول :

ـ نعم يا (نور) .. لقد تحطّمت عظامهم وتفتتت ، حتى لم يتبق منهم سوى جسد رخو مخيف ، تكوّم فوق بعضه البعض ، و ...

أخرسه الهلع ، ومنعه من إتمام عبارته ، وهو يستعيد ذلك المشهد البشع ، فأشاح بوجهه ، وقال :

ـ لايمكنك أن تتصوّر بشاعة ذلك الوجه ، الذى تفتتت جمجمته ، وأصبح مجرّد قناع بشرى رهيب .. يا إلهى !

ارتجف (نور) لهول الموقف ، ثم التفت إلى (سلوى) ، وقال :

ـ تُرى ما الذى رأته هى أيضًا ؟

سأله (رمزى) :

ـ ألم تر أنت شيئاً يا (نور) ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ مطلقًا .. لم أر سوى يدك ، وهى تخرج من الفجوة ، فجذبتها فى عنف ، وأنا أظنها يد مخلوق آخر .

تأوّهت (سلوى) فى هذه اللحظة ، فالتفتوا جميعًا إليها ، وأسرع إليها (نور) يعاونها على النهوض ، وهو يقول :

ـ (سلوى) .. حمداً لله على سلامتك .
تطلّعت إليه (سلوى) فى رعب ، وهتفت وهى تجذب قدمها :
ـ اليد .. لا .
سألها (رمزى) :
ـ أى يد ؟
حدّقت فى أرضية الممر فى رعب ، قبل أن تشير إلى الحفرة الصغيرة ، قائلة :
ـ اليد التى امتدّت من الأرض ، وأمسكت قدمى .
التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :
ـ يد امتدّت من الأرض .
ثم نهض يتطلّع إلى الفجوة فى توتر شديد ، فسأله (رمزى) :
ـ فيم تفكّر ؟
أجابه (نور) فى حسم :
ـ الأمر أكثر وضوحاً من أن يحتاج إلى تفكير يا (رمزى) .. هناك شىء حى فى هذا المكان ، يطاردنا فى كل ممر نذهب إليه .
تلفّت (محمود) حوله فى توتر ، وهو يقول :
ـ وما هذا الشىء بالضبط ؟

هزّ (نور) رأسه ، وهو يقول :
ـ لا توجد معلومات محدودة عنه ، ولكن ..
بتر عبارته فجأة ، فسألته (سلوى) بصوت مرتجف :
ـ ولكن ماذا ؟
أجابها بعد فترة أخرى من الصمت :
ـ ولكن لدى فكرة غريبة ، قد تعنى شيئاً .
سأله (رمزى) فى لهفة :
ـ أية فكرة ؟
تطلّع إليه (نور) لحظة ، ثم قال :
ـ إنها لم تتبلور بعد .
ثم التفت إلى الطريقين ، اللذين يتفرّع إليهما ممر (سلوى) ، وقال :
ـ المهم الآن هو أى الطريقين نتخذ .
سألته (سلوى) :
ـ ألا يمكنك اتخاذ قرار فى هذا الشأن ؟
هزّ رأسه ، وقال :
ـ سيكون قراراً عشوائياً بحتاً ، و ...
بتر عبارته مرة أخرى ، والتقى حاجباه فى تفكير عميق ، ثم قال فى حزم :
ـ وربما كانت هناك وسيلة علمية .

سألته في اهتمام :

- كيف ؟

التقط آلة التصوير ، وهو يقول :

- باستخدام هذه .

ثم التفت إلى (محمود) ، وقال :

- أمازلت تحمل عداد (جايجر) ؟

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وقال :

- إنه معلق بحزامي .

قال (نور) :

- حسن .. هل يمكنك تعديله ، بحيث يلتقط إشارات الضوء العادية ؟

أجابه (محمود) :

- هذا لايحتاج إلى تعديل ، فهو ليس مثل عدادات (جايجر) ، التي كانوا يستخدمونها في القرن العشرين .. إنه أشبه بجهاز قياس إشعاعي ، يصلح لقياس كل أنواع الأشعة ، بما في هذا الضوء العادي بالطبع ، ولكنهم يقولون : إن كل الأجهزة الإليكترونية لن تعمل هنا .

ابتسم (نور) ، وقال :

- ستعمل ياصديقي .. لقد تم الاتصال بيننا ، على الرغم من أنه يتم عبر دوائر إليكترونية ، وهذا يعني أن الشوشرة

تعمل في اتجاه واحد ، ألا وهو عزل داخل الفجوة عن خارجها ، ولكنها لاتؤثر في الأجهزة الموجودة داخل الفجوة نفسها .

قال (رمزي) في حذر :

- ترى أهذا مقصود ؟

أجابه (نور) في ثقة :

- بالطبع .

لم يفهم الجميع سر ثقته الشديدة بالجواب ، ولم يحاول هو تفسير هذا ، وإنما التفت إلى (محمود) ، وقال:

- سأطلق مصباح آلة التصوير في كل من الطريقين ، وعليك أن تخبرني .. أيهما يعكس ضوءًا أكثر ؟

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، واستعد بجهاز قياس الأشعة ، في حين وقف (نور) خلفه ، وأطلق مصباح الأشعة داخل الفجوة الأولى ، وسطع المصباح في وهج سريع ، ثم خبا ، فسأل (نور) (محمود) :

- هل سجلت درجة الانعكاس ؟

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، فأطلق (نور) المصباح في الفجوة الثانية ، وسجل (محمود) درجة الانعكاس ، ثم قال بسرعة :

- الفتحة اليمنى تعكس ضوءًا أكثر .

قال (نور) فى ارتياح :

ـ هذا يحسم كل شىء .

تنهد الجميع ، واتجهوا فى حسم نحو الفجوة اليسرى ، ولكن (نور) استوقفهم قائلًا :

ـ مهلًا يارفاق .. إننا لن نعبر الفجوة اليسرى .. بل اليمنى .

وكانت مفاجأة لهم ..

مفاجأة بحق .

★ ★ ★



٤ ـ المواجهة ..

« لا يوجد حل علمى .. » .

انتفض جسد (نشوى) فى عنف ، واتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تحدق فى تلك العبارة ، التى ارتسمت على شاشة الكمبيوتر ، ثم انكمشت فى مقعدها ، وراح جسدها يرتجف فى توتر بالغ ، قبل أن تلقى ساعديها على المنضدة ، وتضمهما ، ثم تهوى برأسها عليهما ، وتنفجر باكية ..

وفى هذه المرة كانت دموعها أكثر غزارة ..

وأكثر مرارة ..

كانت تختلف عن أى دموع أخرى ذرفتها من قبل ..

هذا لأنها ـ فى هذه المرة ـ دموع يأس ..

دموع إنسانة فقدت آخر أمل لها فى البقاء ..

ولفترة طويلة ، أغرقت دموعها ساعديها ووجهها ، قبل أن تعتدل ، وتمسح وجهها بكفيها ، ثم تتطلع إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة فى صوت مختنق :

ـ شكرًا .

ارتفع صوت الكمبيوتر المعدنى ، وهو يقول فى آلية :
- عفوًا .. أتمنى أن أكون مفيدًا .
غمغمت :
- انتهى الاتصال .

وهنا انطفأت شاشة الكمبيوتر ، وران على الحجرة صمت تام ، وهى تلقى رأسها إلى الخلف ، وتترك شعرها ينسدل على ظهرها ..

لا فائدة ..

لقد فقدت آخر أمل ..

حتى الكمبيوتر لا يجد حلًا لمشكلتها ..

ولنهايتها ..

وفى تثاقل ، نهضت من مقعدها ، واتجهت إلى المرآة الكبيرة فى حجرتها ، وراحت تتطلع فيها إلى وجهها والدموع تغرقه ، ثم تحسست شفتيها ، وعنقها ، وأزاحت خصلة ناعمة من شعرها عن جبينها ، قبل أن تتمتم :
- كل هذا سيذهب .. كل هذا سينتهى .

كانت تشعر برغبة عارمة فى البكاء مرة أخرى ، ولكن يبدو أن عينيها قد فرغتا من الدموع ، وجفتا تمامًا ، فلم يعد بإمكانها البكاء مرة أخرى ..

وفى تلك اللحظة ، التى بلغ فيها حزنها ويأسها مبلغه ، شعرت برغبة قوية وعارمة ، فى التحدث إلى شخص ما ..

إلى صديق ..

أو حبيب ..

وكم تمنت لحظتها لو أن (رمزى) هنا ..

ولكن لا ..

لا ينبغى أن تفكر فيه أكثر ..

لا ينبغى حتى أن تستمر فى حبه ..

أو أن تسمح له بالاستمرار فى حبها ..

إنها لن تلبث أن تذهب ، وتتركه وحيدًا ..

وهى لا تريده أن يتعذب لفقدها ..

أو أن يصاب باضطراب نفسى حاد ..

المفروض أن يرتبط بأخرى ..

أخرى باقية ..

وهنا قفزت إلى ذهنها صورة واحدة ..

صورة (مشيرة محفوظ) ..

وعلى الرغم من موقفها ويأسها ، ملأها شعور بالغيرة ..

غيرة جعلتها تبذل قصارى جهدها ، للفرار من تلك الصورة ، فالتقطت سماعة الهاتف ، وضغطت أزرار رقم الصديق الوحيد المتبقى لديها ، على سطح الأرض ..

الدكتور (حجازى) ..

وعلى شاشة هاتف الفيديو ، ارتسمت صورة أنيقة للدكتور (حجازى) ، فقالت بسرعة :

ـ دكتور (حجازى) .. هل يمكننى ..

قبل أن تتم عبارتها ، بدأت الصورة تقول بابتسامة أنيقة :

ـ هنا منزل ومعمل الدكتور (محمد حجازى) ، ولكنه يعتذر الآن عن الرد ؛ لأنه فى الواقع غير متواجد ، ولكن يمكنك أن تترك رسالة فيديو مسجلة ، وسيتم الاتصال بك عند عودته .

ثم اختفت الصورة عن الشاشة ، وحلت محلها عبارة تظهر وتختفى ، وتطلب من المتحدث تسجيل رسالته ..

ولكن (نشوى) لم تسجل شيئا ..

لقد أنهت الاتصال فى مرارة ، ثم تنهدت ، ووقفت تفكر فى بديل ..

والعجيب أنها ، وفى هذه اللحظة بالذات ، لم تجد من تذهب إليه سواها ..

سوى (مشيرة) ..

(مشيرة محفوظ) ..

★ ★ ★

التفت أفراد الفريق إلى (نور) فى دهشة ، وقالت (سلوى) معترضة :

ـ ما الذى يعنيه هذا يا (نور) ؟.. الفجوة اليمنى تعكس القدر الأكبر من الضوء ، وهذا يعنى أنها أقل عمقًا من اليسرى ، ويعنى أيضًا أن اليسرى هى التى تمتد لمسافة أطول ، فكيف نختار اليمنى للبحث وليس اليسرى ؟!

أجابها فى بساطة :

ـ لأننى و (رمزى) و (محمود) مررنا فى ممرات مستقيمة ، ولكنها لم تقد إلى شىء محدود ، باستثناء قاعة النقوش ، التى سقط فيها (رمزى) بالمصادفة .. أما ممرك الأقصر ، والأقل عمقًا ، فقد قادك إلى مفترق طرق ، وهذا يعنى أن الممرات الأقصر ، هى التى تقود إلى النتائج الأفضل .

ثم اتجه إلى الفجوة اليمنى ، مستطردًا فى حسم :

ـ هيا بنا .. كمية الأكسجين لدينا ستتناقص مع الوقت .

تبعه الجميع إلى الفجوة اليمنى ، وساروا عبر ممر قصير نسبيًا ، لم يلبث أن انحرف إلى اليمين بزاوية شبه قائمة ، ليقود إلى ممر طويل ينبعث من نهايته ضوء أخضر باهت ، فقال (محمود) بانفعال :

ـ يبدو أن هذا الممر سيقودنا إلى شىء هام .

لم يعلق أحدهم على عبارته، وإنما جذب الضوء الأخضر الباهت اهتمامهم وانتباههم بشدة، وهم يتجهون إليه عبر الممر الطويل، وإن تحسّس (رمزى) و (محمود) مسدسيهما الليزريين، وكأنما يتوقعان مواجهة ساخنة، فى نهاية الممر، وراح قلب (سلوى) يخفق فى عنف، و (نور) يمسك يدها، ويتجه معها نحو الضوء الأخضر الباهت ..

ولاحت تلك الفجوة، فى نهاية الممر ..

فجوة يُغلقها باب مستدير، يتألق بذلك الضوء الأخضر الباهت، ويبدو وكأنه مصنوع من مادة نصف شفافة، على الرغم من أنه يحجب ما خلفه تمامًا، وهمست (سلوى) بخوف وانبهار :

- هذا الشىء من صنع مخلوقات عاقلة .

تمتم (نور) :

- ربما كان كل شىء هنا من صنع مخلوقات عاقلة .

تطلّعت إليه فى شىء من الخوف، فى حين سأل هو (محمود) :

- هل يمكنك تحديد نوع الإشعاع، المنبعث من هذا الباب ؟

استخدم (محمود) جهاز الفحص، وأجاب :

- إنه ليس إشعاعًا نوويًا، ويختلف تمامًا عن أى نوع معروف من الإشعاعات، على سطح الأرض، ولكن تبعًا لطوله الموجى، وتردداته، فهو غير ضار .

تمتم (نور) :

- من يدرى ؟

ثم راح يفحص الباب فى اهتمام بالغ، فسأله (محمود) :

- عم تبحث بالضبط ؟

أجابه فى عجالة :

- عن قفل أو رتاج لهذا الباب .

قالت (سلوى) :

- إنه يبدو لى مجرّد قطعة واحدة كبيرة، لا يوجد بها حتى بروز واحد .

أخرج (رمزى) مسدسه، وهو يقول :

- ربما أمكننا تحطيمه .

تراجع (نور)، وهو يجذب (سلوى) إليه، قائلًا :

- يمكنك أن تحاول، ولكن احترس، فنحن نجهل رد فعل هذه المادة .

صوّب (رمزى) مسدسه، وضغط الزناد، وصاح (محمود) :

- مهلًا .. ربما كانت هذه المادة قابلة للانفجار، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، كانت الأشعة قد انطلقت من مسدس (رمزى) ، وأصابت الباب ، و ...

وتلاشت ..

امتصّها الباب على نحو عجيب ، وتألّق أكثر قليلًا ، ثم عاد إلى طبيعته ، وكأنما لم يحدث شيء ..

وفى إصرار ، أطلق (رمزى) أشعته مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وفى كل مرة كان الباب يمتصّ الأشعة ، ويتألق لحظة ، ثم يعود إلى ما كان عليه ، حتى قال (نور) :

- لا فائدة .. هذه المادة شكل من أشكال امتصاص الطاقة ، ومن الواضح أنها هنا لمنع أى كائن حى من العبور .

بدا الشك على وجه (رمزى) ، وقال وهو يقترب من الباب العجيب ، ويمدّ يده نحوه :

- من يدرى ؟ .. ربما كان ..

صاح به (نور) :

- حذار يا (رمزى) .. ربما امتص طاقتك الحيوية أيضًا .

قال (رمزى) فى حزم :

- لكى يفعل عليه أن يخترق حلة الفضاء هذه أولًا .

قالها واندفعت يده نحو الباب ..

وكانت المفاجأة ..

لقد عبرت يده الباب ، كما لو لم يكن له وجود ، وغاصت داخله ، كما تغوص فى قلب أية صورة هولوجرافية عادية ..

وبحركة غريزية ، جذب (رمزى) يده خارج الباب ، وهو يطلق شهقة قوية ، فهتف به (نور) :

- هل أصابك سوء ؟

حدّق (رمزى) فى يده لحظة ، ثم هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- مطلقًا ، ولكننى شعرت ببرودة شديدة .

هتف (محمود) :

- فقط ؟!

أجاب (رمزى) مشدوهًا :

- نعم .. فقط .

ثم اتجه بجسده كله نحو الباب ، مستطردًا :

- إننى أتساءل .. ماذا لو ...

قبل أن يتمّ سؤاله ، كان قد عبر الباب بجسده كله ، وغاص فيه ، ثم اختفى تمامًا ، فهتف (نور) :

- (رمزى) .. أأنت بخير ؟ .. هل تسمعنى جيدًا ؟

أتاه صوت (رمزى)، عبر جهاز الاتصال، وهو يهتف:

- أسمعك جيدًا يا (نور) .. والمشهد هنا رهيب ومبهر .. هيا .. اعبر يا صديقى .. ستشعر بقشعريرة باردة فحسب، ثم ينتهى كل شىء ..

جذب (نور) (سلوى)، وهو يقول:

- هيا.

كان شعورًا عجيبًا، وهما يعبران ذلك الباب، كما لو أنك تخترق قالبًا هائلًا من الزبد الطرى المثلج، الذى يلتحم فور عبورك له ..

وعندما لحق بهما (محمود)، كان من الطبيعى أن يشاركهما دهشتهما العارمة، و(رمزى) يشير إلى تلك القاعة الهائلة، التى قادهما إليها الباب العجيب، قائلًا:

- ها هوذا أيها السادة ما نبحث عنه .. سر البركان.

كانت القاعة كلها عبارة عن عدد لاحصر له من الأجهزة والمعدات، التى تعمل بكفاءة، وتحيط بعدد من أجسام ضخمة، يشبه كل منها بيضة كبيرة، ترقد على جانبها، ونصفها العلوى شفاف، يكشف عن أجساد شبه بشرية، ترقد داخل كل البيض، فيما عدا أربع بيضات، ارتفع غطاؤها الشفاف، وخلت تمامًا من كل تلك المخلوقات شبه البشرية، التى تغطى جسدها كله

بحراشيف ضخمة، تشبه تلك التى تغطى أجساد الزواحف ..

وهتفت (سلوى):

- ما هذا ؟

أجابها (نور):

- القصة يا (سلوى) .. القصة التى تتحدث عنها النقوش، فى القاعة الكبرى .. قصة تلك المخلوقات، التى جاءت من الفضاء، لتستقر هنا فى عالمنا.

قال (رمزى) فى توتر:

- ولكن النقوش تشير إلى أن تلك المخلوقات حاربت الديناصورات يا (نور)، وهذه الديناصورات انقرضت كلها، قبل ظهور الإنسان على الأرض بفترة طويلة(*) .. أى أن هذا قد حدث منذ ملايين السنين، فكيف تبقى تلك المخلوقات على قيد الحياة، حتى عصرنا هذا ؟

أشار (نور) إلى شاشة من الكريستال، تتوسط الجدار المقابل، وقال:

- ربما تجد الجواب هناك.

اتجه فى هدوء إلى الشاشة، وتأمل الأزرار المحيطة

(*) حقيقة علمية.



أشار (نور) إلى شاشة من الكريستال ، تتوسّط الجدار المقابل ...

بها ، ثم تخيَّر زرًا يختلف لونه عن الآخرين ، وضغطه فى هدوء ، ثم تراجع إلى جوار زوجته ..

ولثوان ، ظلّت الشاشة ساكنة ، ثم تألّقت فجأة ببريق عجيب ، وانبعثت منها ثلاثة خيوط من الأشعة ، تكوّنت فى منتصفها ، لتظهر صورة هولوجرافية رائعة ، لكوكب يسبح فى الفضاء ، وانبعث صوت عجيب مخيف ، أشبه بفحيح الأفعى ، وأخذ يتحدّث ، وكأنما يشرح ماتراه أمامك ..

وفى دهشة ، همست (سلوى) :

ـ كيف خمّنت هذا ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وأجاب فى هدوء :

ـ لست أدرى .. ربما بحكم العادة .

اكتفى بهذا القول ، وراح كالآخرين يتابع ذلك العرض المجسّم ، والصوت الشبيه بالفحيح يشرح ما يحدث ، ولكن بلغة لا مثيل لها على وجه الأرض ..

ولم تكن القصة فى حاجة إلى شرح عميق ، إذ كانت الصور وحدها تكفى لفهم الأمر كله ..

كانت الصور تنتقل من الكوكب السابح فى الفضاء إلى سطح الكوكب نفسه ، لتستعرض حياة مخلوقاته ، التى تحيا فى باطنه كالزواحف ، وتتكاثر بصعوبة ، وهواء الكوكب نفسه يتشبع بمواد وغازات سامة بالنسبة لهم ..

ثم بدت صورة مجموعة من تلك المخلوقات ، وهى تستقل سفينة فضاء أشبه بكرة كبيرة ، وتنطلق بها فى الفضاء ، فى رحلة طويلة ، انتهت عند كوكب الأرض ، منذ ملايين السنين ..

كان من الواضح أن الكوكب يناسب هذه المخلوقات ، فيما عدا مشكلة واحدة ..

الديناصورات ..

وفى شراسة ، راحت تلك المخلوقات تقتل الديناصورات ، وكل المخلوقات الأخرى العملاقة ، وتبيدها عن آخرها ..

وغمغم (رمزى) :

- إذن فهذا هو سر انقراض الديناصورات ، الذى حيَّر العلم طويلًا (*) ..

أجابه (نور) :

- إنه صراع البقاء .

عاد الجميع يواصلون مشاهدة الفيلم التوضيحى ، وهو يصوِّر تلك المخلوقات ، فى محاولتها المستمرة لبناء

(*) الاختفاء المفاجئ للديناصورات مايزال لغزًا علميًا ، خرجت عشرات النظريات فى محاولة لتفسيره ، دون أن يتم ترجيح نظرية بعينها ، حتى يومنا هذا .

عالمها الجديد على الأرض ، على الرغم من كل الظروف المحيطة بها ، والتى أدت بمرور الوقت إلى مصرع المئات ..

ثم جاء العصر الجليدى ..

ولم يعد الاستمرار ممكنًا ..

كان من الواضح أن هذا العصر سيحطم آمال وأحلام هذا الشعب ، وفرصته الأخيرة للبقاء ..

واتخذت هذه المخلوقات قرارًا حاسمًا ، يتيح لشعبها فرصة أخيرة للبقاء ..

وفيما يشبه المؤتمر العام ، تم اختيار خمس من الإناث ، وخمسة من الذكور ، من أفضل الفرسان ، وتجنيد كل الإمكانات والسبل ، لمنح هؤلاء العشرة فرصة نادرة للاستمرار ..

وتم إنشاء هذا المكان ، فى باطن الأرض ، حيث يتم تجميد المختارين العشرة ، فى ظروف تضمن لهم البقاء طويلًا ، فى حين يستسلم الباقون لقدرهم المحتوم ، ويلقون حتفهم فى عصر الجليد ..

وكانت هناك خطة خاصة لإنعاش هؤلاء العشرة ، عندما ينتهى العصر الجليدى ، عن طريق شبكة خاصة من الأنابيب الطبيعية ، تصل حتى باطن الأرض ، ويمكن حث الحمم من خلالها على الارتفاع ، لتدفئة المكان ، ورفع درجة حرارته بشدة ، وبدء برنامج الإنعاش ..

ولكن يبدو أن خللًا ما أصاب برنامج الإنعاش ، فلم يبدأ عمله فور انتهاء العصر الجليدى ..

بل انتظر طويلًا ..

انتظر ملايين السنين ..

وعندما بدأ عمله ، لم تكن الحمم كما كانت من قبل ..

ولا الأرض نفسها ..

لهذا كان ما كان ..

ولهذا انفجر البركان ..

تبادل الجميع نظرة صامتة ، بعد انتهاء العرض ، وهمس (محمود) :

ـ إذن فهذه هى القصة .

قال (نور) :

ـ نعم .. هذا هو سر تفجّر البركـــان ، وسر تلك المخلوقات الحية ، التى تهاجمنا ، وتحاول منعنا من الوصول إلى هنا ..

هتف (رمزى) :

ـ أتعنى أن كل ما واجهناه بسبب هذا ؟

أشار (نور) إلى البيضات الأربع المفتوحة ، وقال :

ـ لقد استعاد بعضهم وعيه .. أليس كذلك ؟

قالت (سلوى) فى اضطراب :

ـ ولكن لماذا يهاجموننا ؟

أجابها (نور) :

ـ ضعى نفسك فى موضعهم .. لقد استسلموا للسبات الصناعى ، وهم يتصوَّرون أنهم سيستيقظون فور انتهاء العصر الجليدى ، فيجدون أنفسهم سادة الأرض ، وما من مخلوق حى عليها سواهم ، ثم يحدث الخلل ، فيجدون أنفسهم فى كوكب مأهول ، تمتلك مخلوقاته قدرات وتكنولوجيا تقترب كثيرًا منهم .. ماذا يكون شعورهم عندئذ .. إنه الرغبة فى البقاء بالطبع ، مع الكثير من الذعر والخوف وعدم الفهم ، وكلها عوامل تجعل الطفل الصغير يقاتل فى شراسة ، فما بالك بفرسان مثلهم .

سرت القشعريرة فى جسدها ، وهى تقول :

ـ (نور) .. إنك تخيفنى .

ثم اتجهت نحو الباب ، مستطردة :

ـ سأغادر هذا المكان على الفور ، و ...

شهقت قبل أن تتم عبارتها ، وتجمَّدت فى مكانها فى هلع ، عندما برزت المخلوقات الأربعة من الأرض فجأة ، وحاصرتها ، وكل منها يصوِّب إليها بندقية أسطوانية ، ونظرة بعيون تشبه عيون الثعابين ، ولا تحمل سوى شعور واحد ..

العداء ..

العداء القاتل .

* * *

٥ ـ الصراع ..

شعرت (مشيرة محفوظ) بدهشة حقيقية ، عندما استجابت لرنين جرس الباب ، فوجدت أمامها (نشوى) ، وعلى الرغم من هذا فقد رسمت على شفتيها ابتسامة ترحاب ، وهى تقول :

ـ (نشوى) ؟! .. يالها من مفاجأة !

تمتمت (نشوى) بصوت خافت :

ـ هل تسمحين لى بالدخول ؟

رددت (مشيرة) فى دهشة :

ـ الدخول !

ثم أفسحت الطريق بسرعة ، مستطردة :

ـ بالطبع يا (نشوى) .. تفضلى على الرحب والسعة .

دخلت (نشوى) بخطوات ضيقة ، واتجهت إلى أقرب مقعد إليها ، وجلست فوقه فى صمت ، فتنحنحت (مشيرة) ، وقالت :

ـ لم لا نجلس فى الردهة ؟

همست (نشوى) :

ـ لا مانع .

لت (مشيرة:

كنك لت فى بطء ، واتجهت إلى الردهة ، فلحقت بها (مشيرة) ، وتطلعت فى دهشة إلى عينيها الحزينتين ، وملامحها التى بدت غريبة بعض الشىء ، وقالت فى قلق بالغ ، وهى تتردد فى إلقاء السؤال :

ـ ماذا هناك يا (نشوى) ؟

رفعت (نشوى) إليها عينيها الحزينتين ، وقالت :

ـ (مشيرة) .. أريد أن أتحدث إليك فى أمر هام .

جلست (مشيرة) أمامها ، وهى تسألها فى توتر :

ـ هل أصابك مكروه ؟ .. هل أصاب والدك مكروه ؟

هزت (نشوى) رأسها ، وهى تجيب :

ـ لم يصب أبى أو أمى بأدنى مكروه ، فى حدود علمى على الأقل .

قالت (مشيرة) :

ـ وماذا عنك ؟

اغرورقت عينا (نشوى) بالدموع ، فهتفت بها (مشيرة) ، وقلبها يرتجف فى جزع حقيقى :

ـ (نشوى) .. ماذا هناك بالضبط ؟

تركت (نشوى) دموعها تسيل على وجنتيها ، وهى تقول :

ـ (مشيرة) .. أمازلت تحبين (رمزى) ؟

حدّقت (مشيرة) فى وجهها بدهشة بالغة ، ثم تراجعت فى مقعدها ، وقالت فى ضيق :

- هل أتيت إلى هنا ؛ لتلقى علىّ هذا السؤال ؟

قالت (نشوى) :

- أرجوك يا (مشيرة) .. أريد جوابًا واضحًا صريحًا .

قالت (مشيرة) فى حدة :

- ما هذا بالضبط .. فورة من الغيرة ؟

انهمرت دموع (نشوى) أكثر ، وهى تقول :

- صدقينى يا (مشيرة) .. لا شأن للغيرة قط بهذا السؤال .

تطلّعت إليها (مشيرة) مرة أخرى ، فى حيرة وقلق ، ثم عادت تميل نحوها ، وتسألها فى اهتمام :

- ماذا هناك يا (نشوى) ؟

انتحبت (نشوى) لحظة ، ثم قالت :

- لو أنك مازلت تحبين (رمزى) حقًا ، فيمكنك العمل بجدية على استعادته ، فلم يعد لى مكان إلى جواره .

تطلّعت إليها (مشيرة) فى شك ، قبل أن تسألها :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

أجابتها (نشوى) ، والدموع تغرق وجهها :

- يعنى أنك و (رمزى) يمكن أن تتبادلا الحب ؛ لأن عمركما يسمح بهذا .

قالت (مشيرة) :

- ولكنك لست صغيرة إلى هذا الحد .

تنهّدت (نشوى) ، وقالت :

- ربما فى الوقت الحالى .

حدّقت فيها (مشيرة) بدهشة بالغة ، ثم سألتها فى توتر :

- (نشوى) .. ماذا تقصدين ؟

وهنا انفجرت (نشوى) باكية فى مرارة ، وهى تقول :

- أقصد أننى المخلوقة الوحيدة ، فى الكون كله ، التى يسير بها الزمن فى عكس الاتجاه الطبيعى .

فى البداية لم تفهم (مشيرة) ما يعنيه هذا ، ثم لم تلبث أن أدركت فجأة لماذا بدا لها وجه (نشوى) مختلفًا ، عندما رأتها أمام باب بيتها ..

ومع إدراكها ، ارتجف جسدها كله ..

ارتجف فى ارتياع ..

* * *

لم تكد المخلوقات الأربعة تظهر حول (سلوى) ، حتى تحرّك (نور) و (رمزى) و (محمود) دفعة واحدة ، ودون اتفاق سابق ، فاستلّ (رمزى) و (محمود) مسدسيهما ، واندفع (نور) نحو المخلوقات ..

وفى آن واحد أطلق (رمزى) و (محمود) مسدسيهما ، نحو بندقيتى مخلوقين ، فى حين هوى (نور) على فك الثالث بلكمة ساحقة ..

صحيح أنه شعر وكأنه يلكم آلة حصاد قديمة ضخمة ، إلا أن المخلوق سقط أرضًا ، فى حين التفت الرابع يواجه (نور) ..

وفى هذه المرة تحرّكت (سلوى) ، وركلت بندقية المخلوق ، هاتفة :

- لن أسمح لك .

وبسرعة ، انهال (نور) على وجهه بلكمة أخرى ..

ولكن المخلوقات الأربعة نهضت بسرعة ، وكأن شيئا لم يحدث ، وانحنى اثنان منهما لاستعادة بندقيتهما ، فهتف (نور) :

- فلنهرب بسرعة .

قالها وجذب (سلوى) ، ووثب معها عبر الباب العجيب ، وشعر بتلك القشعريرة الباردة ، ثم وجد نفسه على الجانب الآخر مع (سلوى) ، وتبعهما (رمزى) و (محمود) ، والأخير يهتف :

- لقد وثبوا داخل الأرض .. لم أر شيئا كهذا ، فى حياتى كلها .

انطلق جميعهم يعدون عبر الممر ، و (نور) يهتف :

- يمكنك أن تتوقّع منهم كل ما تفعله الزواحف .

صاح (رمزى) :

- يبدو أنهم تحتنا .

كان هناك بالفعل صوت عجيب ، يسرى تحت أقدامهم ، فى باطن الأرض ، أشبه بصوت مثقاب ضخم ، يندفع بسرعة تتوافق تقريبًا مع سرعتهم ، وصاحت (سلوى) فى هلع :

- سيلحقون بنا .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى اندفع أحد تلك المخلوقات من تحت الأرض فجأة وقفز واقفًا أمامهم ، ولكن (نور) أطلق أشعته الليزرية نحوه ، فأصابته فى صدره ، وألقته فى عنف إلى الخلف ، ولكن لم يكد يسقط على الأرض ، حتى دار حول نفسه فى سرعة ، واخترق الأرض مثل دودة صغيرة ، تخترق أرضًا رطبة ..

وصرخ (محمود) :

- كيف يمكن محاربة قوم كهؤلاء ؟

أجابه (نور) :

- بأن تنظر دائمًا تحت قدميك .

بلغوا نهاية الممر ، واندفعوا داخل القاعة الواسعة ، التى تطلّ على الفجوات الأربع ، وصاح (رمزى) :



ولكن لم يكد يسقط على الأرض ، حتى دار حول نفسه فى سرعة ، واخترق الأرض مثل دودة صغيرة ...

- فلنغادر هذا المكان اللعين .

ولكن صوت الحفر تجاوزهم بسرعة ، واتجه إلى مدخل القاعة ، فقال (نور) :

- لا .. إنهم ينتظروننا هناك .

توقف (محمود) ليسأله فى هلع :

- أين نذهب إذن ؟

تلفت (نور) حوله ، وقال :

- كما فعلنا فى السابق .. سننقسم إلى عدة فرق .. كل فى مكانه الأول .

افترقوا مع صيحته ، وانطلق (محمود) و (رمزى) داخل الفجوتين ، اللتين فحصاهما فى البداية ، فى حين أسرع (نور) و (سلوى) إلى ممر (نور) ، وقالت (سلوى) ، وهى تلهث فى انفعال وتعب :

- كيف يمكن أن ينتهى هذا ؟!

أجابها (نور) فى توتر :

- لا أحد يدرى .

وكانت هذه هى الحقيقة ..

لا أحد يدرى ..

★ ★ ★

تطلّع الدكتور (ناظم) إلى ساعته ، وقال فى عصبية :

- مضت ساعتان منذ دخولهما إلى الفجوة .
غمغم أحد مساعديه :
- ساعتان ليستا بالوقت الطويل يا سيدى .
تمتم فى سخط :
- لماذا تبدوان إذن أشبه بدهرين ؟
هزّ المساعد كتفيه وهو يبتسم ، فمطّ الدكتور (ناظم) شفتيه ، وقال فى حنق :
- كيف يمكنك الابتسام ، فى ظروف كهذه ؟
أخفى المساعد ابتسامته على الفور ، فى حين حل الدكتور (ناظم) رباط عنقه ، وهو يستطرد فى حدة :
- ماذا أصاب شباب هذه الأيام ؟
أسرع إليه مساعد ثان ، فى اللحظة نفسها ، وهو يقول :
- دكتور (ناظم) .. المعمل يطلبك فى حجرة المراقبة .
تلقى الدكتور (ناظم) المحادثة ، وهو يقول فى توتر :
- ماذا هناك ؟
أجابه أحد رجال المعمل فى اهتمام :
- لقد توصلنا إلى الكيفية ، التى تم بها تدمير المعدّات .
هتف الدكتور (ناظم) :
- حقًا ؟! .. وما هى يا فتى .. كيف حدث هذا ؟
أجابه الرجل :

- لقد وجدنا أن الأجسام الخارجية للمعدات مصنوعة كلها من اللدائن ، بعكس المعدات الداخلية ، المصنوعة من المعدن ، ولو أطلقنا موجة فوق صوتية ، بالغة القصر ، فى حزمة مباشرة ، ستتحطم كل الأجزاء المعدنية ، وتتحوّل إلى فتات ، فى حين تبقى اللدائن على حالها .
طرقع الدكتور (ناظم) سبابته وإبهامه ، وهو يهتف :
- هذا صحيح .. لهذا لانستخدم الأدوات والأوعية المعدنية ، داخل أفران (الميكروويف) .. أنتم عباقرة يا فتى .. تأثير الموجات فوق الصوتية يختلف حتمًا بالنسبة للمعادن ، عنه بالنسبة للدائن .
ثم اتسعت عيناه فجأة ، وهو يقول :
- ولكن .. هذا يعنى أنه هناك من يمتلك أسلحة مناسبة ، لإطلاق حزمة فوق صوتية موجّهة .
أجابه الرجل :
- إننا لم نصنع بعد أسلحة شبيهة ياسيدى .
هتف الدكتور (ناظم) :
- أعلم هذا .. أعلم هذا .
ثم التفت إلى الفجوة ، مستطردًا :
- ولكن هناك من صنع مثلها .

نطق هذه العبارة ، وعقله يحمل فكرة واحدة ملحة .. فكرة جنونية ..

★ ★ ★

انطلق (محمود) يعدو عبر الممر الخاص به ، والرعب يملأ نفسه ، ومن خلفه انبعث ذلك الصوت الشبيه بحفار ضخم ، والذى يتبعه فى إصرار ، فهتف فى ارتياع :

ـ رباه ! .. أين أذهب ؟ .. أين يمكننى أن أذهب ؟

فجأة شعر بذلك الشىء تحت قدميه ، فوثب هاتفًا :

ـ يا إلهى !

ثم تجاوزه ذلك الشىء تحت قدميه ، فتوقف هو فى مكانه ، وزاغت عيناه فى ذعر ، ثم لم يلبث أن استلّ مسدسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ فليكن .. لو أنه لا مفر من الموت ، فلأمت كما يموت الأبطال .

وقف فى ثبات واعتداد ، وهو يمسك مسدسه بيده ، ورأى ذلك المخلوق يبرز من باطن الأرض ، فصاح وهو يطلق نحوه أشعة المسدس :

ـ ابتعد .. لست أريد قتلك .

أصابت الأشعة المخلوق فى صدره ، ولكنها ارتدت

عن غلافه الحرشفى فى عنف ، وأصابت الجدار العلوى للممر ، فتراجع (محمود) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ فى المرة القادمة سأطلق النار على رأسك مباشرة .. لاتجبرنى على هذا .

لم يبد أى انفعال على المخلوق ، الذى أيقن من فارق القوة ، ورفع بندقيته شبه الأسطوانية ، وصوّبها إلى (محمود) ، الذى اتسعت عيناه ، وهو يقول :

ـ يلوح لى أننى أعرف تأثير هذا السلاح .. لقد رأيته فى أجساد الفريق الجيولوجى .

هوى قلبه بين قدميه فى هلع ، وهو يتخيّل نفسه ، وقد تحوّل إلى جسد رخو ، خال من العظام ، وقفزت إلى ذهنه فجأة تلك الصورة البشعة ، فارتجف جسده ، وسرت فيه قشعريرة ، ووجد نفسه يهتف بغتة :

ـ مستحيل .

ثم انحنى بسرعة ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها المخلوق حزمته فوق الصوتية ، وشعر بها (محمود) تعبر فوقه ، بطنين أشبه بطنين ألف سرب من أسراب النحل ، فاندفع نحو المخلوق صارخًا :

ـ لقد حصلت على فرصتك .

ثم انقضّ عليه ، مستطردًا :

- وهذه فرصتى .

وبكل قوته ، ركل البندقية من يد المخلوق ، ثم هوى على فكه بلكمة قوية ، إلا أن قبضته ارتدت إليه فى عنف ، وهو يطلق صرخة ألم ..

لقد لكم جدارًا من الصلب على الأقل ..

وقبل أن يتحرك ، أو حتى يبتعد .. انقضّ عليه المخلوق فى عنف ، وأمسكه من وسطه بقبضة كالفولاذ ، ثم رفعه إلى أعلى ، وألقاه على الجدار ..

وحاول (محمود) أن ينهض ، ولكن المخلوق جذبه مرة ثانية ، وحمله ، وضرب به الجدار المقابل ..

وفى هذه المرة شعر (محمود) بالام فى ظهره ، وقال فى ألم :

- يالك من شرس !

حمله المخلوق مرة أخرى ، وألقاه أرضًا فى قسوة ، ثم اتجه إليه فى بطء ، وعيناه الشبيهتان بعينى الثعبان ترمقانه فى برود وحشى ، جعله يدرك أنها النهاية هذه المرة ..

نهايته ..

ولكن فجأة التقطت يده بندقية المخلوق ، فجذبها إليه ، وصوّبها إلى المخلوق هاتفًا :

- قف .

توقف المخلوق بغتة ، وهو يتطلع إلى بندقيته ، بين يدى (محمود) ، ثم عاود تقدمه ، فصاح (محمود) :

- فليكن .. أنت أردت هذا .

ولكن كيف يطلق هذه البندقية ؟ ..

بحثت أصابعه عن أى شىء ، يمكن إطلاق البندقية بوساطته ..

زناد ..

زر ..

أى شىء ..

ولكن هذه البندقية كانت عبارة عن شكل شبه أسطوانى ، يمتد بلا أى بروز أو نتوء ..

والمخلوق يقترب أكثر وأكثر ..

وهبّ (محمود) واقفًا على قدميه ، وهو يقول :

- حسن .. ليس أمامى سوى هذا .

وبكل ما يملك من قوة وتوتر ، ورغبة فى البقاء ، هوى بالبندقية على رأس المخلوق ..

وفجأة دوى الانفجار ..

انفجرت البندقية على رأس المخلوق ، وارتجت جدران الممر فى عنف ، وأطاح الانفجار بـ (محمود) إلى الخلف عشرة أمتار على الأقل ، حتى ارتطم بجدار هش ، فى نهاية الممر ، فاخترقه ، ووجد نفسه يتدحرج فوق شىء شبيه بالسلم الحجرى ، و ...

وفجأة تحطمت خوذته فى عنف ، وتطايرت شظاياها ، واتسعت عيناه فى رعب ..

لقد فقد مصدره الوحيد للأكسجين ، وأصبح عليه أن يواجه غازات البركان السامة ..

ثم يلقى مصرعه ..

وبمنتهى القسوة ..

* * *

عندما انطلق (رمزى) ، كان يعرف هدفه جيدًا ..

ولقد سعى إليه ..

راح يعدو عبر الممر ، متجهًا إلى الفجوة ، التى تقوده إلى قاعة النقوش ..

خبرته كطبيب نفسى ، جعلته يتصوَّر أن أحدًا لن يلحق به هناك ..

هذا لو أن الظروف النفسية لتلك المخلوقات ، هى نفسها عند البشر ..

ومن خلفه انطلق ذلك الصوت المخيف ..

صوت مخلوق يزحف تحت الأرض ..

وبكل التوتر والحدة ، زاد من سرعته ، وضاعف من حركته ، إلا أن الصوت اقترب منه أكثر وأكثر ، و ...

وفجأة لاحت الفجوة ، فى أرضية الممر ..

وبدأ الصوت يتجاوزه ..

ومع لهاثه ، رأى ذلك المخلوق يبرز من الأرض ، ويحول بينه وبين الفجوة ، فتوقَّف ، ولوَّح بكفه ، قائلًا :

ـ لابأس .. لقد انتصرت .

رمقه المخلوق بنظرة باردة خاوية ، ثم رفع بندقيته شبه الأسطوانية فى وجهه ، و (رمزى) يقف ساكنًا ، لاهثًا ، وكأنما استسلم لمصيره ..

وفجأة هتف (رمزى) ، وهو يشير إلى شىء ما خلف المخلوق :

ـ ما هذا ؟

كانت أشهر خدعة أرضية ، فى تاريخ العالم كله ، ولكن العجيب أن المخلوق التفت خلفه فى حركة سريعة ، فانقضَّ عليه (رمزى) ، ودفعه بكل قوته ، وهو يهتف بلهجة شبه ساخرة :

ـ انفعال بشرى تقليدى يا صديقى .

قالها ووثب داخل الفجوة ..

ولكن المخلوق سقط خلفه ..

وفى عنف ، هوى الاثنان داخل الفجوة ، وارتطم جسداهما أكثر من مرة ، وهما يتخبطان فى جدارى الفجوة ، حتى سقطا داخل قاعة النقوش ، فقاوم (رمزى) آلام عظامه ، وهبَّ واقفًا ، واستلَّ مسدسه الليزرى ، وصوَّبه إلى المخلوق ، هاتفًا :

- سنبدأ جولة جديدة يا رجل .

ولكن المخلوق نهض فى بطء ، وأدار عينيه فى المكان ، على الرغم من الظلام ، الذى لا يبدده سوى ضوء مصباح (رمزى) ، ثم اتجه إلى ذلك الجدار ، الذى يحوى رسم الوجه العملاق ، وجثا أمامه على ركبتيه ، ثم خفض وجهه فى صمت ..

ولثوان ، لم ينبس (رمزى) ببنت شفة ، ثم لم يلبث أن قال :

- كما توقعت تمامًا .. هذا المكان مقدس بالنسبة إليهم .

أعاد مسدسه إلى غمده ، وعقد كفيه أمامه ، وهو يراقب ذلك المخلوق فى اهتمام عالم نفسانى ..

كان المخلوق قد تجمّد تمامًا ، وبدا فى جلسته هذه أشبه بتمثال مخيف ، من الرخام الداكن ، فى حين كان مشهده مع الرسم العملاق ، يستحق التسجيل فى صورة فوتوجرافية نادرة ..

وفى هدوء ، اقترب (رمزى) من المخلوق ، وقال :

- ليتك تفهم لغتى ، فقد يدور بيننا حديث طويل .

وأشار إلى النقوش ، التى تملأ المكان ، مستطردًا :

- أعلم أن هذا هو الحلم .. حلم البقاء ، بعد أن فنى كوكبكم وانتهى .. حلمكم الذى عشتم ملايين السنين من أجله ، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .. صحيح

أنكم كنتم تستطيعون السيطرة على الأرض ، لو أنكم استيقظتم فى الوقت المناسب ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) لم يشأ هذا ؛ لأنه أعدّ الأرض للبشر ، وعندما تأتى مشيئة الله (سبحانه وتعالى) ، تتدنى أمامها مشيئة الكون كله ، حتى أنتم .

استدار المخلوق ، يتطلّع إليه بنظرة باردة ، فتابع (رمزى) :

- لابد أن تستسلموا لهذا .. هذه هى طبيعة الحياة .

نهض المخلوق فى بطء ، ووقف أمامه صامتًا ، فتراجع (رمزى) بحركة غريزية ، وهو يغمغم :

- إنك لم تفهمنى .. أليس كذلك ؟

وفجأة شعر بحركة خافتة من خلفه ، فاستدار فى سرعة ، و ...

وانطلقت الحزمة فوق الصوتية ..

وشعر (رمزى) بالانفجار فى صدره ..

واندفع جسده إلى الخلف فى عنف ، وارتطم برسم الوجه العملاق ، ثم سقط ..

وران على القاعة صمت طويل ..

ورهيب .

★ ★ ★

٦ ـ الزمن المعكوس ..

حدقت (مشيرة) فى وجه (نشوى) بارتياع تام ، قبل أن ينخفض صوتها ، وهى تقول :

ـ (نشوى) .. أهذا حقيقى ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابا ، وقالت :

ـ حقيقى يا (مشيرة) .. أنا نفسى شعرت بصدمة شديدة ، عندما بدأت تلك التغيرات تحدث ، ولكن الأمور تسير ، ولايمكن إيقاف رد الفعل العكسى .

أمسكت (مشيرة) كتفيها ، وهتفت :

ـ مستحيل يا (نشوى) ! .. مستحيل ! .. لابد من وجود حل .

هزت (نشوى) رأسها نفيا ، وهى تقول باكية :

ـ لقد بحثت يا (مشيرة) .. بحثت بكل الوسائل الممكنة ، ولكننى لم أجد فرصة واحدة .. حتى الكمبيوتر عجز عن إيجاد حل علمى وعملى لمشكلتى .

اغرورقت عينا (مشيرة) بالدموع بدورها ، وهى تقول :

ـ مستحيل ! .. لا يمكن الاستسلام لهذا .

تطلعت إليها (نشوى) لحظة ، وقالت :

ـ عجبا ! .. كنت أظن أن هذا سيسعدك .

هتفت (مشيرة) مستنكرة :

ـ يسعدنى ؟! .. أأنت مجنونة ؟ .. كيف يمكن أن يسعدنى هذا ؟ .. ولماذا ؟

تمتمت (نشوى) :

ـ من أجل (رمزى) .

صاحت (مشيرة) :

ـ من أجل من ؟! .. أهذه هى فكرتك عنى يا (نشوى) ؟ .. أهذا هو رأيك فىّ ؟ .. أتصوّرت أنه من الممكن أن أسعد لمأساتك ، لمجرّد أننى قد أستعيد (رمزى) بسببها ؟

غمغمت (نشوى) :

ـ (مشيرة) .. إننى أعتذر .. صدقينى ..

هتفت (مشيرة) :

ـ لا تقولى شيئا .

وأجشت بالبكاء ، وهى تستطرد :

ـ لا تضيفى إلى نفسك المزيد من الأعباء .

لم تصدّق (نشوى) أذنيها ..

إذن فهذه هى (مشيرة) ..

(مشيرة) التى لا يعرفها أحد ..

(مشيرة) الحنون ، ذات القلب الناصع البياض ..

وفى صوت مرتجف ، همست (نشوى) :

ـ (مشيرة) .. إننى ..

أحاطتها (مشيرة) بذراعيها فجأة ، وامتزجت دموعهما وهى تضمها إلى صدرها ، قائلة فى حنان :

ـ يا لك من بائسة مسكينة !! .. حياتك كلها سلسلة من المتاعب والآلام والعذاب !

ثم اكتسب صوتها رنة حازمة ، وهى تستطرد :

ـ ولكننا لن نستسلم لهذا .

قالت (نشوى) . وهى تشعر بالارتياح بين ذراعيها:

ـ قلت لك : إننى لم أجد وسيلة واحدة لـ ....

قاطعتها (مشيرة) :

ـ هذا لأنك تفكرين وحدك ، وهذا النوع من المشكلات يحتاج إلى عدد أكبر من الخبراء .

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ لا أحب أن يعرف الآخرون مشكلتى .

صاحت (مشيرة) :

ـ لماذا ؟ .. إنها ليست عارا .. فليعرفها العالم أجمع ، لو أن هذا يفيد فى إنقاذك .

ثم تركت (نشوى) ، واتجهت إلى هاتف الفيديو فى حزم ، فسألتها (نشوى) :

ـ بمن ستتصلين ؟

أجابتها (مشيرة) :

ـ بالدكتور (حجازى) .

هزت (نشوى) رأسها ، وقالت :

ـ إنه ليس فى منزله أو معمله .

قالت (مشيرة) :

ـ ربما نجده فى عمله فى (بنها) .

أجرت الاتصال فى سرعة ، وظهرت صورة الدكتور (حجازى) على الشاشة ، وهو يبتسم قائلا :

ـ أهلا يا (مشيرة) .. كيف حالك ؟ .. هل تسعين خلف تحقيق صحفى جديد ؟

أجابته فى توتر :

ـ ليس هذه المرة يا دكتور (حجازى) .. فقط أريد رأيك فى مشكلة علمية عجيبة .

سألها فى اهتمام :

ـ أية مشكلة ؟

أجابته وهى تفرك كفيها فى عصبية :

ـ ستعرضها عليك صاحبتها بنفسها .

بدا التساؤل على وجهه ، ثم لم يلبث أن رأى صورة (نشوى) على الشاشة ، فقال :

ـ آه .. أهلا يا (نشوى) .. كيف حالك يا بنيتى ؟ .. لماذا تبدين كما لو أن ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! .. إنك .. إنك ..

لم يستطع إكمال عبارته ، ولكنه فهم المشكلة على الفور ..

المشكلة المخيفة ..

★ ★ ★

هتفت (سلوى) بـ (نور) ، وهما يعدوان داخل الممر الطويل :

ـ إلى أى شىء يقودنا هذا الممر ؟

أجابها فى توتر :

ـ إلى جدار من الصخر .

سألته فى ذعر :

ـ لماذا نعدو داخله إذن ؟

قال وهو يحثها على الإسراع :

ـ هناك فجوة صنعها قتالى مع (رمزى) ، قد تقودنا إلى شىء ما .

ارتفع من خلفهما صوت الحفر ، فاستطرد :

ـ المهم أن نصلها فى الوقت المناسب .

حوّلها الرعب إلى آلة للعدو ، وعلى الرغم من هذا لحق بهما المخلوق ، الذى بدا وكأنه يحفر الأرض بسرعة تفوق سرعة ركضهما فوقها ، فقد برز أمامهما فجأة ، وهو يصوّب إليهما بندقيته ، فشهقت (سلوى) فى رعب ، فى حين هتف (نور) ، وهو ينقضّ عليه :

ـ ابتعدى يا (سلوى) .

كان المخلوق يستعد لإطلاق بندقيته ، عندما بلغه (نور) ، وأمسك معصمه ، ورفع يده عاليًا ، فانطلقت الحزمة فوق الصوتية إلى أعلى ، وأصابت سقف الممر ، وصرخت (سلوى) :

ـ احترس يا (نور) .

لكم (نور) المخلوق بكل قوته ، وانتزع من يده البندقية ، ثم تراجع فى سرعة ، وعلى الرغم من هذا فقد انهالت الأتربة من السقف على رأسه وتساقطت معها الصخور ، فجذب (سلوى) ، وانطلق يعدو فى الاتجاه المضاد ، وهو يهتف :

ـ هيا بنا .. سنعود أدراجنا .

صاحت :

ـ وماذا عن الفجوة ؟

قال لاهثا :

ـ لقد انقطع الطريق بيننا وبينها بالانهيار ..

لم تلق أى سؤال آخر ، وقلبها يخفق فى عنف ، وراحت تعدو إلى جواره صامتة ، حتى بلغا تلك القاعة ، التى تتفرّع عندها الطرق ، وهتفت (سلوى) :

ـ دعنا نغادر هذا المكان يا (نور) .. دعنا نعود إلى عالمنا .

ولكنه توقّف فجأة ، وقال لاهثا :

ـ لم يعد هذا ممكنًا يا (سلوى) .

هتفت :

ـ لماذا ؟ .. سنجتاز فقط الفجوة الرئيسية ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدّق فى الطريق الذى يقود إلى الفجوة الرئيسية فى ارتياع ، حيث وقف مخلوقان ، يصوّبان إليها وإلى (نور) بندقيتيهما ..

وفى شحوب تمتمت :

ـ فهمت .

لم تكن المسافة بين (نور) والمخلوقين تسمح له بمهاجمتهما ؛ إذ كانا يقفان عند الطرف الآخر للقاعة ، فزفر فى حنق ، وهو يقول فى مرارة :

ـ أظن أنها النهاية .



كان المخلوق يستعد لإطلاق بندقيته ، عندما بلغه (نور) ، وأمسك معصمه ، ورفع يده عاليًا ...

رفع المخلوقان بندقيتيهما نحو (نور) و (سلوى) ، فالتصقت هى به ، وهتفت فى رعب شديد :

- النهاية يا (نور) ؟

ومع آخر حروف كلماتها تألقت جدران القاعة كلها .. وهوت الأجساد ..

* * *

كانت مفاجأة مدهشة لـ (محمود) ، عندما وجد نفسه يتنفس فى ارتياح ، دون خوذته ، فى ذلك المكان .. بل كان الهواء نقيًا ، منعشًا ، كما لو أن (محمود) يجلس داخل حديقة وارفة غنّاء ..

ثم انتبه فجأة إلى أن الحقيقة لا تختلف كثيرًا ..

إنه بالفعل داخل حديقة ..

حديقة ضخمة ، يضىء سقفها ضوء بنفسجى باهت ، يمنحه شعورًا بالانتعاش والنشوة ، وتنتشر فيها نباتات عملاقة ، لم ير مثيلًا لها فى حياته كلها ..

نباتات عمرها ملايين السنين ..

وفى انبهار ، راح (محمود) يسير بين النباتات العملاقة ، التى يبلغ عرض أوراق بعضها مترين كاملين ، وامتزجت ألوان الطيف فى زهور البعض الآخر ، فمنحتها مظهرًا فاتنًا خلابًا ، جعل (محمود) يهتف :

- باللروعة ! .. ترى كيف تحيا هذه النباتات الرائعة ، فى قلب البركان ؟

فحص الجدران والسقف بعينيه أكثر من مرة ، ولكنه لم يجد جهازًا واحدًا لتنقية الهواء ، على الرغم من النقاء الذى يشعر به ، فاستنشق نفسًا عميقًا ، وقال فى ارتياح :

- إنه مكان رائع على أية حال .

ثم برزت فى ذهنه فجأة فكرة خاصة ، فهتف :

- آه .. فهمت .

ثم اتجه إلى إحدى الأوراق العملاقة ، وراح يفحصها فى اهتمام ، قبل أن يستطرد :

- هذه إذن هى دورتهم التنفسية .. هذه الأوراق تمتص كل غازات الحمم البركانية ، وكل سمومها ومضارها ، ثم تفرز الأكسجين النقى .. هذا هو التفسير الوحيد .. بل ربما كانت الغازات البركانية هى الهواء الذى تتنفسه هذه المخلوقات وتحيا به ، وهذا هو سر نموها الفائق ، وأحجامها البالغة الضخامة .

لفتت انتباهه زهرة زرقاء ضخمة ، فى حجم سيارة كبيرة ، وقد تدلت بعض أوراقها أرضًا ، فبدت أشبه بلسان أزرق ضخم ، يمتد على الأرض ، وتبرز منه نتوءات حمراء مخملية الشكل ، وفروع صفراء متماوجة ..

وفى انبهار ، اقترب (محمود) من الزهرة ، وقال :

ـ يا إلهى ! .. لم أر فى حياتى كلها مثل هذا الجمال .. بل لم أر زهرة زرقاء ، لها هذا اللون البديع .

تحسس لسان الزهرة فى حذر ، واستطرد :

ـ هذا الزى يمنعنى من معرفة ملمسها ، ولكنه يبدو لى أشبه بملمس قطع القطيفة الناعمة ، و ...

لم فجأة شيئا يتحرك فى قلب الزهرة ، فبتر عبارته ، ومال إلى الأمام ، وهو يتطلع داخلها فى اهتمام ..

وفجأة ارتفع ذلك اللسان الأزرق النائم ، والتف حول ساقه ، ثم جذبه فى قوة إلى قلب الزهرة ، فصاح :

ـ رباه ! .. إنه نبات آكل للحوم .

كانت هذه آخر عبارة أطلقها ، قبل أن يحتويه النبات داخله ، ثم تنطبق بعض أوراقه على البعض فى قوة .. لقد ابتلع (محمود) ..

وبدأ عملية هضمه ..

★ ★ ★

انتفض جسد (سلوى) فى عنف ، عندما تألقت القاعة ، ولكنها شعرت بيد (نور) تضغط يدها ، وسمعته يهتف :

ـ يا إلهى ! .. لقد نجونا .

فتحت عينيها عن آخرهما ، وخفق قلبها فى قوة ، عندما رأت أربعة من رجال الجيش المصرى ، فى ثياب تشبه ثياب الفريق ، وهم يحملون بنادق ارتجاجية إشعاعية ، ويطلقونها على المخلوقين ، اللذين التفتا إليهم ، وراحوا يتبادلون معهم إطلاق النار ..

وصاح (نور) :

ـ أوقفوهما فحسب .

ولكن هتافه جاء متأخرا ، فقد أصاب أحد رجال الجيش أحد المخلوقين ، وأطاح به فى عنف ، فسقط جثة هامدة ، وتصاعدت من أنفه أبخرة زرقاء عجيبة ، فأطلق زميله بندقيته على أحد رجال الجيش ، الذى أصابته الطلقة ، فأطلق صرخة رهيبة ، ثم تهاوى فجأة ، كما لو أن هيكله العظمى قد تلاشى دفعة واحدة ، ولم يتبق منه سوى كيان هلامى رخو ..

وهنا تكتل رجال الجيش الثلاثة الباقون ، وأطلقوا بنادقهم على المخلوق الثانى ، فأطاحوا به بضربة واحدة ، وسقطت جثته إلى جوار جثة رفيقه ..

وفى حسم ، رفع رجال الجيش بنادقهم ، واتجه قائدهم نحو (نور) و (سلوى) ، وهو يقول بصوت قوى :

ـ أأنتما بخير ؟

هتفت (سلوى) فى سعادة :
ـ كيف وصلتما فى الوقت المناسب ؟
ابتسم الرجل ، وهو يقول :
ـ بالمصادفة البحتة ، فلم نكن نعلم أنه الوقت المناسب ، ولكن الدكتور (ناظم) استنتج وجود مخلوقات مقاتلة داخل الفجوة ، وخشى أن تواجهكم المخاطر بسبب هذا ، ولكنه عجز عن الاتصال بكم ، بسبب تلك الشوشرة الإليكترونية ، فأرسلنا لمؤازرتكم والذود عنكم .
قال (نور) :
ـ فى هذه الحالة ينبغى أن نعود للبحث عن (محمود) و (رمزى) ، واستعادتهما ، ثم إنه هناك حجرة تحتاج إلى الفحص .
مطّ الرجل شفتيه ، وقال :
ـ المهم أن ينتهى كل هذا بسرعة .
ثم التفت إلى رجاله ، مستطردًا :
ـ هيا يا رجال .
رفع يده بحركة عسكرية ..
ولكنه لم يخفضها ..
لقد أصابته فجأة حزمة فوق صوتية ، أطاحت به ، وضربت جسده بالحائط ثم ألقته أرضًا ككومة رخوة بلا عظام ..

والتفت الرجلان الباقيان إلى حيث انطلقت الأشعة ، ولكن طلقة أخرى أسقطت ثانيهما ، فى حين تراجع الثالث ، وهو يطلق أشعته عشوائيًا ، قبل أن يبرز من خلفه أحد تلك المخلوقات ، ثم يُرْديه بطلقة مباشرة فى ظهره ..
وصرخت (سلوى) فى رعب ..
صرخت والتصقت بـ (نور) ، الذى تجمّدت يده فوق غمد مسدسه ، وهو يتطلّع فى دهشة إلى ستة مخلوقات ، تصوِّب إليه أسلحتها ..
ومضت لحظات من الصمت ، دون أن يطلق أحد المخلوقات بندقيته ، حتى هتف (نور) فى عصبية :
ـ حسن .. ماذا تنتظرون ؟
تقدّم منه أحدهم ، ومدّ يده إليه فى حزم ، فقالت (سلوى) مرتجفة :
ـ ماذا يريد يا (نور) ؟
أجابها (نور) :
ـ أسلحتنا .
ناوله مسدسه الليزرى فى بطء ، فوضعه المخلوق فى حزامه ، ثم أشار إلى (سلوى) ، فسلمته سلاحها بدورها ، وهنا تراجع المخلوق ، ثم أشار إلى نقطة فى

الجدار ، فقال (نور) :

ـ ماذا تريد .. هل نتجه إليها ؟

لم يجب أحد ، بل ظلّ المخلوق يشير إلى تلك النقطة فى صمت ، فتحرّك (نور) و (سلوى) نحوها ، ووقفا أمامها ، وقالت (سلوى) :

ـ سيعدموننا يا (نور) .

هزّ رأسه نفيا ، وقال :

ـ كلا .. لو أنهم أرادوا قتلنا لفعلوا .. لماذا يقودوننا إلى هنا ؟

قالت باكية :

ـ ربما هو جدار الإعدام .

قال فى حدة :

ـ كفى حماقة .

اقترب منهما المخلوق مرة أخرى ، وأشار إلى الحائط بيده ، فتماوج جزء منه فى بطء ، ثم اختفى ، ليظهر من خلفه باب عجيب آخر ، يتألق بضوء أخضر باهت ، فقالت (سلوى) :

ـ أسحر هذا ؟

أجابها (نور) :

ـ بل نوع من التكنولوجيا المتقدّمة .

تقدّم فى حركة عصبية نحو الباب ، ولكن المخلوق استوقفه ، ومدّ أصابعه ذات الحراشيف ، وتحسّس جزءا من الباب ، فانزاح الباب جانباً ، ليكشف ممرًا طويلا ، يتألق بالضوء الباهت نفسه ، وهنا قالت (سلوى) فى دهشة :

ـ لماذا لم يعبروا خلاله ؟

ضغط يدها فى رفق ، وقال :

ـ ربما يتصوّرون أننا لا نستطيع عبوره .

بدا لها تفسيره مقنعا ، فعبرت الباب المفتوح إلى جواره ، وسارا متجاورين ، والمخلوقات الستة خلفهما ، عبر الممر الطويل ، الذى انتهى بهم إلى قاعة هائلة ، تتوسطها فجوة واسعة ، تنبعث منها الأبخرة ، وغمغم (نور) :

ـ هذه الفجوة تقود إلى قلب الأرض .

تمتمت (سلوى) :

ـ أتعنى أن الحمم هى مصدر هذه الأبخرة ؟

أومأ برأسه إيجابا ، فى نفس اللحظة التى دفعه فيها المخلوق من الخلف ، نحو مربّع من مادة رخوة ، وأشار إليهما بالوقوف فوقه ، فصعد (نور) و (سلوى) فوق المربّع ، وقال (نور) :

ـ أخشى أن ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع من حولهما فجأة جدار طاقة أسطوانى ، عزلهما داخله ، فهتفت (سلوى) :

ـ ما هذا ؟

أجابها (نور) ، وقد التقى حاجباه فى شدة :

ـ من الواضح أننا أسيران .

صاحت :

ـ لماذا ؟

غمغم فى توتر :

ـ من يدرى ؟

التصقت به أكثر ، وقلبها يشعر أن ما تراه مجرد طقوس ..

طقوس نهاية بشعة .

* * *



٧ ـ مشكلة خاصة ..

اعتدل الدكتور (حجازى) ، والدهشة تعصف بنفسه ، بعد أن انتهى من فحص (نشوى) ، وأدار عينيه المذعورتين إلى (مشيرة) ، وهو يقول :

ـ إنها على حق .

خفق قلب (مشيرة) بين ضلوعها فى توتر ، وقالت :

ـ أيمكن أن يحدث هذا ؟

أشار الدكتور (حجازى) إلى (نشوى) ، وقال :

ـ لقد حدث بالفعل .

نهضت (نشوى) جالسة ، وهى تقول فى مرارة :

ـ كنت أعلم أنه ما من أمل .

التفت إليها الدكتور (حجازى) فى حدة ، وهو يقول :

ـ أنا لم أقل هذا .

ثم لوّح بذراعيه ، مستطردًا :

ـ كل ما هنالك أنه أمر عجيب ، لامثيل له فى كتب ومراجع الطب .

وصمت لحظة ، وهو يفكر فى عمق ، قبل أن يضيف :

- وهو يحتاج إلى متخصص .
سألته (مشيرة) :
- مثل من ؟
التقط سماعة هاتف الفيديو ، وهو يقول :
- مثل الدكتور (حاتم) مثلًا .
هتفت (مشيرة) :
- (حاتم زهير) ؟! ..
أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يضغط أزرار الهاتف ، قائلًا :
- هو بعينه .
انتظر لحظات ، حتى بدت صورة الدكتور (حاتم) على شاشة الهاتف ، فقال فى لهفة واضحة :
- دكتور (حاتم) .. من حسن الحظ أن وجدتك .. إننى أحتاج إليك لفحص حالة خاصة .
بدا الدكتور (حاتم) شديد الهدوء ، وهو يقول :
- ما الذى تعنيه بأنها حالة خاصة ؟
أجابه الدكتور (حجازى) :
- أعنى أنه لامثيل لها ، فى كل مراجع الطب القديمة والحديثة .
بدا الاهتمام على وجه الدكتور (حاتم) ، واعتدل فى مقعده ، وهو يقول :

- أريد المزيد من التفاصيل .
قال الدكتور (حجازى) :
- هذا يحتاج إلى حضورك شخصيًا لفحصها .
هتف فى توتر :
- ألا يمكنك إحضارها ؟
قال الدكتور (حجازى) فى حزم :
- أفضل ألا تغادر معملى .
مطّ الدكتور (حاتم) شفتيه ، وقال :
- لابد أن لديك أسبابك .
ثم استدرك فى اهتمام :
- فليكن .. سأحضر على الفور .
أنهى الدكتور (حجازى) الاتصال ، ثم التفت إلى (نشوى) و (مشيرة) ، وقال فى انفعال :
- سيحضر على الفور .
سألته (مشيرة) :
- أتعتقد أنه يستطيع إيجاد حل للمشكلة ؟
هزّ كتفيه ، قائلًا :
- من يدرى ؟
بدا اليأس فى صوت (نشوى) ، وهى تقول :
- أعتقد أنه ما من أمل .. لقد استشرت الكمبيوتر ، و ...

صاح الدكتور (حجازى) مقاطعًا :

ـ الكمبيوتر مجرّد جهاز غبى .

قالت معترضة :

ـ كيف تقول هذا يا دكتور (حجازى) ؟ .. أنت أكثر من يعرف فوائد الكمبيوتر .. إنك تستخدمه فى معظم عملك .

صاح :

ـ هذا لا يمنع كونه مجرّد جهاز غبى ، ينفذ أوامرك فحسب ، ويمنحك النتائج ، طبقًا للمعلومات التى تم تزويده بها مسبقًا ، فى هيكله الرئيسى ، أو من خلال البرامج ، التى يتم تزويده بها .

قالت فى توتر :

ـ ربّما كان هذا صحيحًا ، بالنسبة لأجهزة الكمبيوتر القديمة ، ولكنه ليس كذلك بالنسبة للجيل الحالى ، الذى تم تزويده بالذكاء الصناعى المنطقى ، بحيث يمكنه تحليل أمور ، لم تسبق برمجته بها ، واتخاذ قرارات مناسبة بشأنها .

قال فى صرامة :

ـ حتى مع هذا ، يظلّ الكمبيوتر مجرّد جهاز غبى ، لأنه هناك أمور لا تخضع للذكاء والمنطق ، ولا يمكن برمجتها داخل جهاز كمبيوتر ، مهما بلغت سعته ودقته .

قالت متحدية :

ـ مثل ماذا ؟

أجاب فى حزم :

ـ مثل الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) .

ومع ذكر الله (عزّ وجلّ)، انخفض صوته وخشع، فأردف:

ـ ومثل الأمل فى رحمته الواسعة ، التى تفوق قوانين الدنيا كلها .

وفى هذه المرة، لم يكن من الممكن أن تعترض (نشوى)..

* * *

بوغت (محمود) تمامًا ، بتلك الحركة العنيفة ، التى قامت بها الزهرة ، قبل أن تبتلعه داخلها ، وشعر بالأوراق التى بدت مخملية رقيقة ، تعتصر جسده فى قوة ، حتى تكاد تحطم ضلوعه ، ثم غرق فجأة فى سائل عجيب له رائحة الكبريت ، وملمس عسل النحل ..

وقاوم (محمود) ..

قاوم فى عنف ..

ولكن الأوراق اعتصرته أكثر وأكثر ..

ومع غياب خوذته ، امتلأ أنفه وفمه بذلك السائل العجيب اللزج ، وبدأ يختنق ..

كان قد فهم ـ بعد فوات الأوان ـ طبيعة هذه الزهرة الزرقاء ..

إنها زهرة متوحشة ..

زهرة قاتلة ..

جمالها الأخاذ هذا لم يكن سوى فخ ، تجتذب به فريستها ، وتخدعها للاقتراب منها ، ثم تلتهمها فى قسوة ، وتعتصرها بلا رحمة ..

ولقد نجحت هذه الزهرة فى اقتناصه ..

وهى الآن تهضمه ..

من المحتم أن هذه هى مهمة ذلك السائل اللزج .. الهضم ..

وشعر بمرارة شديدة ؛ لأن نهايته أتت على هذا النحو .. مجرد وجبة لزهرة متوحشة ..

ثم عاوده عناده وإصراره ، وعاد يقاوم فى شراسة ، حتى لمست يده مسدسه الليزرى فجأة ، فاستله وهو يقول لنفسه :

ـ من يدرى ؟ .. ربما كان هذا هو الأمل الأخير .

وضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الأشعة ..

انطلقت مرة ، وثانية ، وثالثة ..

ومع الطلقة الرابعة ، انفتحت الأوراق ، وألقته خارجها ..

وسعل (محمود) فى شدة ، وهو يمسح ذلك السائل اللزج عن جسده ، وأعاد المسدس إلى غمده ، وهو يقول :

ـ من الواضح أننى أصبتك بعسر هضم .

نهض فى صعوبة ، وسعل مرة أخرى ، ليبصق ذلك السائل اللزج من حلقه ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ كل ما أحتاج إليه هو دش دافئ .

شعر بالاشمئزاز من ذلك السائل الكريه الرائحة ، الذى يلتصق بوجهه وثيابه ، ولكنه ابتعد عن الزهرة ، وواصل طريقه بين النباتات ، وهو يقول :

ـ ولكن كيف نجحت هذه النباتات فى البقاء ، عبر ملايين السنين ؟ .. وإلى أى كوكب تنتمى ؟ .. كوكبنا أم كوكبهم ؟

تطلع مرة أخرى إلى النباتات ، محاولًا تمييز بعضها ، ولكنها بدت له كلها عجيبة ، لم ير مثلها ، حتى فى كتب التاريخ القديم والجيولوجيا ، فتمتم :

ـ إنها نباتات كوكبهم حتمًا .

قاده هذا إلى فكرة تالية ، فتابع :

ـ من المؤكد أنها أيضًا كانت متجمدة ، فى حالة سبات



وانطلقت الأشعة وانطلقت مرة ثانية وثالثة ، ومع الطلقة الرابعة ، انفتحت الأوراق ، وألقته خارجها ...

صناعى طويل .. أظن هذا أكثر بساطة بالنسبة للنبات .. وعندما حانت لحظة الاستيقاظ ، عادت بذورها إلى الحياة .. ولكن لماذا أتوا بزهرة متوحشة ؟ .. ما الذى يمكن إطعامها به ؟

لم يكد يلقى السؤال ، حتى لمح ذلك الشىء ، الذى مرق بين النباتات ، من طرف عينيه ، فتوقف بغتة ، والتقى حاجباه وهو يقول :

ـ أخشى أن الجواب قد يكون مفزعا .

سمع من خلفه تلك الزمجرة الخافتة ، فالتفت فى بطء ، وارتجف جسده كله ، عندما رأى ما أمامه ..

كان أمامه حيوان أشبه بالورل(*) ، ولكن له قوائم طويلة ، وقرن صغير ، فى منتصف رأسه ..

وأطلق الحيوان زمجرة أخرى ، وهو يقترب منه أكثر ، فى حذر وبطء ، وتذكر (محمود) أنه رأى بقايا حيوان مماثل ، فى قلب الزهرة ، التى لفظته ، قبل أن تبتلعه هو ، وغمغم:

(*) الورل : عظاءات (سحالى) ضخمة ، تتبع الفصيلة الورلية ، وتنتشر فى (أفريقيا) و (آسيا) ، ومنها الورل الصحراوى ، والورل النيلى ، الذى يعيش قرب شواطىء النيل ، ويأكل الحشرات والسحالى ، والثعابين الصغيرة .

- إذن فاتت الغذاء .. لقد جمّدوا كل شىء .. حتى غذاء النباتات المتوحشة .

تقدّم منه الحيوان مرة أخرى ، وراح يفحصه ببصره فى اهتمام وحذر ، ثم لم يلبث أن أطلق زمجرة ثالثة ، وتراجع بعجزه إلى الوراء ، ثم انقض بغتة ..

وفى حركة سريعة أخرج (محمود) مسدسه ، وأطلق أشعته نحو الحيوان ، ثم قفز إلى الخلف ، وهو يغلق عينيه فى عنف ..

وانطلقت فى المكان حشرجة عجيبة ، أشبه بحشرجة رجل يحتضر ، مع صوت ارتطام مكتوم ، ففتح (محمود) عينيه ، ورأى الحيوان يحتضر إلى جواره ، فتمتم :

- آسف .. لم يكن أمامى سوى هذا .

لمح فجأة حركات عديدة ، فى كل مكان حوله ، فى حين سالت الدماء الحمراء غزيرة من الحيوان الصريع ، وتراجع (محمود) ، قائلاً فى ذعر :

- ما هذا ؟ .. يبدو كأن المكان كله يكتظ بـ ...

بتر عبارته بغتة ، عندما رأى تلك الحيوانات الصغيرة ، الشبيهة بالفئران ، والتى يبلغ حجم كل منها حجم قط كبير ، وهى تخرج من كل مكان ، وتحدجه بعيونها الحمراء المخيفة ، ولوّح بيده فى خوف شديد ، وهو يقول :

- لست أظنكم تتمتعون بروح الثأر .

ولكن فجأة انقضت عشرات ، بل مئات من تلك الحيوانات الصغيرة عليه من كل صوب ..

وكان موقفًا بشعًا ..

أبشع موقف فى حياته كلها ..

أو آخر موقف ..

* * *

ران صمت عجيب على تلك القاعة ، التى يقف فيها (نور) و (سلوى) ، ثم وقفت المخلوقات الستة إلى جوار بعضها ، وظلّوا على وقفتهم الثابتة هذه لحظات ، ثم لم يلبث الجدار المقابل للفجوة البركانية أن اهتزّ ، ثم انشق فى بطء ، وبرز منه تمثال ضخم ، يمثل أحد هذه المخلوقات ، فى زىّ مختلف ، وهو يمسك بيده نموذجًا كبيرًا لكوكب الأرض ..

وهنا انحنت المخلوقات الستة ..

وسألت (سلوى) (نور) :

- ما هذا بالضبط ؟

أجابها وهو يراقب الموقف فى اهتمام :

- من الواضح أنهم وثنيون ، يعبدون هذا الصنم .

هتفت فى دهشة :

- وثنيون ؟! .. مع كل تقدمهم العلمى .

مط شفتيه ، وقال :

- لاتوجد علاقة بين التقدم العلمى والحضارة العقلية يا (سلوى) ، على عكس ما يتصوّر الكثيرون .. بل على العكس .. قد يكون التقدم العلمى هو السبب فى فساد العقول ، وضياع الإيمان ، وتاريخ الأرض يحمل عشرات الدلائل على هذا .

قالت مشدوهة :

- إلى حد عبادة وثن ؟!

غمغم :

- غياب الإيمان يفعل ما هو أكثر من هذا .

استمرت المخلوقات الستة على انحنائها لفترة طويلة ، ثم اعتدلت ، وتراجع خمسة منها فى بطء ، فى حين اتجه السادس إلى قاعدة التمثال ، وضغط شيئًا ما فيها ، فانفتحت فجوة فى منتصفها ، وانطلقت منها عدة أشرطة مضيئة ، حامت لحظات فوق الفجوة البركانية ، ثم انطلقت خارج القاعة ، فسألت (سلوى) :

- ما هذا بالضبط ؟

أجابها (نور) :

- يبدو أنه نوع من الطقوس .

لم يتحرّك أحد المخلوقات الستة قيد أنملة ، منذ غادرت

تلك الأشرطة المضيئة القاعة ، ولم يمض وقت قصير ، حتى عادت الأشرطة ، وقد خبا ضوء كل منها ، ورقد فوقه واحد من الفرسان ، الذين لقوا مصرعهم ..

ومرة أخرى حامت الأشرطة حول الفجوة البركانية ، ثم تراصت فى الهواء ، على قيد أمتار منها ، وراح الفرسان الستة ينشدون شيئًا ما ، بصوتهم الشبيه بفحيح الثعابين ، حتى توقفوا فجأة ، وساد المكان صمت رهيب ، جعل (سلوى) تهمس :

- والآن ماذا سيحدث ؟

ضغط (نور) يدها ، وقال :

- اصمتى وراقبى .

مضت لحظة أخرى من الصمت ، ثم تحرّك أحد الأشرطة فى بطء ، وحام فى الهواء ، حتى أصبح فوق منتصف الفجوة تمامًا ، ثم هبط داخلها فى بطء ، وقال (نور) :

- فهمت .. إنها طقوس الدفن .

ردّدت (سلوى) فى دهشة :

- دفن ؟!

أجاب :

- أقصد طقوس الحرق .. من الواضح أنهم يحرقون جثث موتاهم ، فى قلب الحمم .

ارتجف جسدها ، وهى تقول :

ـ من حسن حظهم أنهم موتى ، فالمشهد سيكون رهيبًا حتمًا .. يا إلهى .. تصوّر الحمم تلتهم الجسد .. بالبشاعة !

لم يعلّق على عبارتها ، ولكنه كان يشعر فى أعماقه بقلق بلا حدود ..

قلق جعله يراقب هبوط الجثة الثانية فى توتر شديد ..

ومع كل جثة ، كانت أبخرة الفجوة تتصاعد فى كثافة ، ثم تنخفض وتعود إلى ما كانت عليه ..

وتمتمت (سلوى) :

ـ ألن ينتهى هذا الموقف البشع ؟

والواقع أن هذا ما كان (نور) يخشاه بالضبط ..

أن ينتهى هذا الموقف ..

ففى أعماقه ، كان هناك تفسير واحد لإبقاء المخلوقات على حياته وحياة (سلوى) ..

تفسير يكفى لملء قلوب جمهور غفير بالخوف ..

بل بالرعب ..

كل الرعب .

* * *

٨ ـ النيران ..

هزّ الدكتور (حاتم) رأسه فى حيرة ، وهو يتطلّع إلى (نشوى) ، وقال فى صوت خافت :

ـ إنها تبدو لى طبيعية للغاية .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ هذا لأنك لم تعرفها من قبل .

ابتسم الدكتور (حاتم) ، وقال :

ـ وهل يصنع هذا فارقًا ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ بالتأكيد ، فـ (نشوى) هذه ليست فتاة طبيعية ، ولم تكن أبدا كذلك .

تطلّع إليه الدكتور (حاتم) فى صمت ، ثم أسند ذقنه إلى قبضته ، وهو يقول :

ـ ولماذا هى كذلك ؟

أجابته (نشوى) :

ـ لأنه لولا حادثة غير طبيعية ، لما تجاوز عمرى الآن الخامسة عشرة .

ابتسم وهو يسألها :

ـ وما هذه الحادثة غير الطبيعية ؟

كان من الواضح أنه يتعامل مع الموقف باستهتار واستخفاف واضحين ، لذا فقد واجهه الدكتور (حجازى) ، وقال فى حزم :

ـ اسمع يادكتور (حاتم) .. هناك قصة ينبغى أن تعرفها أولًا ، قبل أن تسخر من الموقف على هذا النحو .. لقد كانت (نشوى) بالفعل فى العاشرة من عمرها ، عندما خضعت مرغمة لتجربة شيطانية ، أجراها عليها مخلوقات من عالم آخر ، حاولت السيطرة على الأرض ، وإفناء كل من عليها من مخلوقات حية ، عن طريق عقار نمو خاص ، يقفز بالعمر عدة سنوات ، فى لحظة واحدة ، وبقطرة من هذا العقار ، قفز عمر (نشوى) عشر سنوات دفعة واحدة ، فأصبحت فجأة فى العشرين من عمرها(*)

فغر الدكتور (حاتم) فاه فى ذهول ، وقال :

ـ أواثق أنت من أنك لم تتناول أية عقاقير مخدرة ، أو ...

(*) راجع قصتى (سادة الأعماق)، و (المحيط الملتهب) .. المغامرتين رقم (٦٢) ، و (٦٣) .

قاطعته (مشيرة) فى حدة :

ـ أواثق أنت من أنك لم تفعل ؟

التفت إليها فى بطء ، وحدجها بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

ـ ما من شخص محترم يفعل .

قالت فى حدة :

ـ حقًّا ؟! .. ما الذى يعنيه سؤالك إذن ؟

تضرّج وجهه بالاحمرار ، وارتبك وهو يقول :

ـ إنها مجرّد جملة اعتراضية .

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ لا عليك .. كل ما أخبرتك به حقيقى ، وحدث منذ خمس سنوات تقريبًا .

تطلّع الدكتور (حاتم) إلى (نشوى) ، وقال مستنكرًا :

ـ ولكن هذا يعنى أنها الآن فى الخامسة والعشرين !

أجابته (نشوى) فى مرارة :

ـ كان هذا منذ ثلاثة أيام ، ولكننى بدأت ألاحظ تلك التأثيرات ، التى تسير بخطوات سريعة ومخيفة .. لقد بدأت ملابسى تتسع ، وتطول ، و ...

هبّ من مقعده ، وهو يقاطعها هاتفًا :

ـ مهلًا .. أتعنين أن كل هذا قد بدأ من ثلاثة أيام فحسب ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- نعم .. وهو يستمر ، و ...

احتضنتها (مشيرة) فى حنان ، عندما عجزت عن الاستطراد ، فى حين قال الدكتور (حجازى) فى توتر :

- من الواضح أن مفعول عقار النمو الشيطانى هذا قد انتهى ، أو أنه هناك رد فعل عكسى فى الجسم .

هزَّ الدكتور (حاتم) رأسه فى انبهار ، وقال :

- إذن فـ (نشوى) هذه هى أوَّل مخلوق فى العالم ، يحدث معه العكس ..

أجابه الدكتور (حجازى) :

- هذا صحيح .. إنها تصبح أصغر سنًا ، مع مرور الوقت ، حتى أنها الآن فى العشرين من عمرها فحسب ، ولو استمرَّ معدَّل الانخفاض على هذا النحو ، فلن يمضى أسبوع واحد ، حتى تكون قد عادت إلى العاشرة .

أجـهشت (نشوى) بالبكـاء فى مرارة ، وهتـفت (مشيرة) :

- لابد من وجود حل لهذا .. لابد .

أكمل الدكتور (حاتم) فى توتُّر :

- وأن نجد هذا الحل فى أسرع وقت ، وإلا فستعود (نشوى) إلى العاشرة ، أو ...

صمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى خفوت :

- أو يواصل عمرها الانخفاض حتى النهاية .

وارتجفت عروق الجميع ..

★ ★ ★

تراجع (محمود) فى ذعر ، أمام تلك الحيوانات البشعة ، التى انقضَّت عليه من كل صوب ، وتجمَّدت سبَّابته على زناد مسدسه ، وهو يصرخ :

- ماذا أصابها ؟ .. ماذا أصابها ؟

لم يكن من المجدى أن يطلق أشعة مسدسه على بعضها ، إذ كانت المئات الباقية تكفى لقتله ..

ولكن الحيوانات تجاوزته ، دون أن تحاول حتى لمسه .

تجاوزته لتنقضَّ على الحيوان الذى صرعه ، وتنهش لحمه فى شراهة مخيفة ..

واتسعت عينا (محمود) ، وهو يردِّد :

- إذن فقد كان هو المنشود لا أنا .

لم يستغرق الأمر سوى لحظات معدودة ، تراجعت بعدها تلك الحيوانات الصغيرة ، وعادت إلى مكامنها بين النباتات الضخمة ، تاركة إياه أمام هيكل عظمى متهالك ، للحيوان الذى التهمته أمام عينيه ..

وحدق (محمود) فى المشهد لحظة ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، وهو يهتف :

- أين نحن بالضبط ؟ .. فى أى عالم شيطانى سقطنا ؟

راح يركض ، عبر النباتات الضخمة ، دون أن يدرى متى ينتهى الأمر ، وخُيِّل إليه أن آلاف العيون الصغيرة تتابعه فى نهم ، وتتمنى سقوطه ، لتنقضَّ عليه ، وتلتهمه عن آخره فى لحظات ..

ولهث (محمود) فى شدة ، وهو يهتف :

- لابد من نهاية .. لابد .

شعر بقلبه يخفق أكثر وأكثر ، عندما لمح ذلك الباب ذا الضوء الأخضر الباهت ، فى الجدار المقابل ، فاندفع نحوه ، وهو يصيح :

- أخيرًا .. أخيرًا يوجد مخرج من كل هذا .

وثب نحو الباب ، دون أن ينتبه إلى خوذته المحطمة ، وإلى أنه لم يعد يرتدى زيًا واقيًا ..

وعبر الباب ..

ولكن فى هذه المرة لم يكن العبور أشبه بعبور قالب من الزبد الطرى المثلج ..

بل كان - من دون الخوذة - أشبه بعبور صاعقة جليدية ..

وصرخ (محمود) ، وجسده ينتفض فى شدة ، وشعر بأطرافه كلها تتجمد ، قبل أن يسقط أرضًا ، وتظلم الدنيا كلها أمام عينيه ..

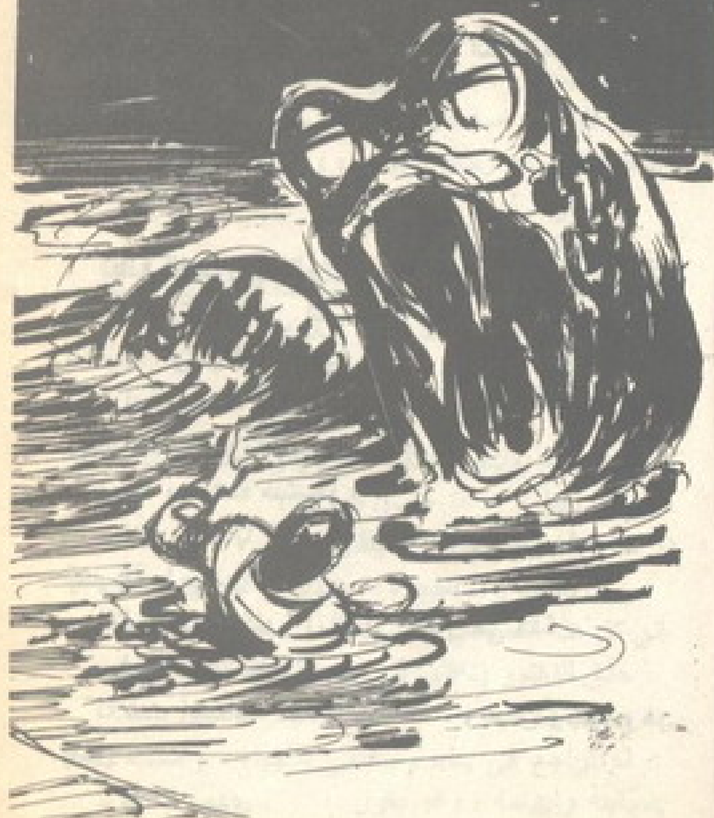
لم يفقد الوعى ، ولكنه شعر بظلام دامس أمامه ، وراحت أطرافه ترتجف فى شدة ، كما لو أنها مغطاة بالجليد ..

ثم انجاب الظلام عن عينيه تدريجيًا ، وراحت معالم المكان تتضح :

كان ملقى على حافة حوض ضخم ، تسبح داخله مخلوقات عملاقة ، تشبه فى تكوينها الأسماك الأرضية ، والثعابين البحرية ، ولكن بتكوينات تختلف تمامًا عن عالمنا ..

وفى بطء نهض (محمود) ، وتطلع إلى الحوض الضخم ، وهو يغمغم :

- يا إلهى ! .. لولا ثقتى بأننا دخلنا هذه الفجوة من كوكب الأرض ، لتصورت أننا فى عالم آخر .. لقد أراد هؤلاء الغرباء إعادة زرع كوكبهم كله هنا .. حيواناته ، ونباتاته ، وأسماكه .. كل شىء أتوا به معهم ، وجمدوه ، فى انتظار اللحظة الحاسمة .. هذا المكان إذن هو صورة غير متكاملة من سفينة (نوح) .. و (سبحان الله) .. لقد نجحت رحلة (نوح) وسفينته ، على الرغم من بساطتها ، وفشلت هذه الرحلة .. هذا هو الفارق بين مشيئة الله (عزَّ وجلَّ) ، ومشيئة البشر .



زوج من أعين كائن بحرى رهيب ، يشبه ثعبان بحر عملاق ...

راح يسير على أطراف الحوض ، ويتطلع إلى كل هذه المخلوقات ، التى تسبح داخله ، حتى بلغ بابًا آخر ، فى نهاية المكان ، فوقف أمامه مترددًا ، وهو يقول :

ـ والآن .. كيف يمكننى عبور هذا الباب ؟ .. لقد كاد الآخر يقتلنى ، عندما عبرته دون خوذة أو ثياب واقية .

وقف متوترًا ، ثم لم يلبث أن حسم رأيه ، قائلاً :

ـ فليكن .. سأقفز عبره ، وليكن ما يكون .

تراجع بضع خطوات ، حتى يمكنه القفز عبر الباب ، ولكن قدمه تعثرت فجأة فى طرف الحوض ، فاختلّ توازنه ، و ...

وسقط ..

سقط فى قلب الحوض ..

حوض المخلوقات العملاقة ..

وبكل قوته ، راح (محمود) يضرب الماء بذراعيه ، محاولاً الصعود إلى السطح ، قبل أن يغوص أكثر وأكثر ..

وفجأة تجمدت أطرافه كلها ..

لم يكن هذا بسبب الجليد هذه المرة ، وإنما كان بسبب زوج من الأعين ، فى حجم مصباحين ضخمين ، راح يحدق فيه فى صمت ..

زوج من أعين كائن بحرى رهيب ، يشبه ثعبان بحر عملاق ..

ثم انفتح فكا الكائن ..

وبرزت أنيابه الهائلة ..

وبحركة انسيابية ناعمة ، انقض الكائن البحرى على (محمود) ..

وارتفعت الأنياب ..

ثم هوت ..

* * *

تطلَّع الدكتور (ناظم) إلى ساعته مرة أخرى ، وألقى نظرة متوتِّرة على الشمس ، التى اقتربت من أفق المغيب ، وقال فى عصبية :

ـ لماذا يحدث هذا فى كل مرَّة ؟ .. لماذا لا تكون هناك قضايا بسيطة أو عادية ؟

أجابه مساعده مبتسمًا :

ـ لأن القضايا البسيطة والعادية يختص بها رجال الشرطة يا سيِّدى .

التفت إليه الدكتور (ناظم) ، وقال فى حدَّة :

ـ أمازلت تبتسم ؟

تلاشت ابتسامة الشاب بسرعة ، وعبس وجهه وهو يقول :

ـ كلا يا سيِّدى .

حدجه الدكتور (ناظم) بنظرة ساخطة ، وهتف :

ـ سحقًا لشباب هذا الجيل .

ثم اندفع نحو مساعده الآخر ، وسأله :

ـ ألم يتصل القائد الأعلى بعد ؟

هزَّ الشاب رأسه نفيًا ، دون أن يجيب ، فالتفت الدكتور (ناظم) إلى أحد رجال الجيش ، وقال فى حدَّة :

ـ قل لى : لماذا لم يعد رفاقك ؟

التفت إليه الرجل ، وقال :

ـ المفروض أن ألقى عليك أنا هذا السؤال يا سيِّدى .

لوَّح بذراعيه ، وصاح فى سخط :

ـ وما أدرانى ؟

ثم أشار إلى الفجوة ، مستطردًا :

ـ الجميع يهبطون هناك ، ثم لا يعود أحد .. ماذا تتوقَّع منى أن أفعل ؟ .. هل أرسل المزيد ؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل يمكننا ردم الفجوة يا سيِّدى .. لو أنها لا تقود إلا إلى كل هذا الغموض والشر .

حدَّق الدكتور (ناظم) فى وجهه لحظة ، قبل أن يتمتم :

ـ نردمها ؟!

ثم تراجع فى بطء ، والتقى حاجباه ، وأمسك ذقنه بسبَّابته وإبهامه ، وهو يقول :

- ربما هى ليست بالفكرة السيئة .

ثم صاح فجأة فى حنق :

- ولكن هذا مستحيل !

سأله الرجل فى هدوء :

- ولماذا مستحيل ؟

أشار مرة أخرى إلى الفجوة ، وهتف :

- لأن (نور) وفريقه داخلها .

قال الرجل :

- أو لحقوا بالآخرين ؟

مرة أخرى عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه ، قبل أن يقول :

- ربما ..

ثم اعتدل ، والتقط نفسًا عميقًا ، وتابع :

- ولكننا سننتظر عودتهم ، حتى اللحظة المتفق عليها .

سأله الرجل :

- ومتى تحين هذه اللحظة ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

- فجر الغد .. هذه هى الأوامر لديهم .. المفروض أن يعودوا قبل فجر الغد ، أيًا كانت الأسباب ، وإلا ..

صمت لحظة ، قبل أن يحسم رأيه ، ويستطرد فى حزم :

- وإلا فسنردم الفجوة ، ونقضى على كل الشر داخلها ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، مردفًا :

- مهما كان الثمن ..

★ ★ ★

انتهت مراسم حرق الجثث الأربعة ، وغمغمت (سلوى) :

- تُرى ماذا سيفعلون بعد هذا ؟

أجابها (نور) فى قلق شديد :

- أخشى أن يفعلوا ما أتوقعه .

سألته :

- وما الذى تتوقّعه ؟

لم تكد تلقى سؤالها ، حتى ارتفعت فجأة قضبان حديدية ، من وسط حاجز الطاقة ، فشهقت هاتفة :

- ما هذا ؟

هبطت قطعة مربعة أخرى ، تلتصق بهذه القضبان من أعلى ، ثم اختفى حاجز الطاقة دفعة واحدة ، وهتفت هى :

- إننا الآن داخل قفص .

لم يجب (نور) ، وهو يراقب المخلوقات الستة فى عصبية ، وقد التفت الجميع إلى القفص ، الذى يضمه مع زوجته ، ثم أشار أحدهم إلى أعلى ، فهبط حبل غليظ من سقف القاعة ، والتصق بسقف القفص ، ثم رفعه فى بطء ، وهتف (نور) فى غضب :

ـ يا للأوغاد .

سألته (سلوى) متوترة :

ـ ما الذى يعنيه هذا يا (نور) ؟

لم يستطع إجابتها ، ولكنه ضمها إليه فى قوة ، فى حين ارتفع القفص فى بطء ، ثم تحرك أفقيًا ، واقترب من الفجوة البركانية ، فصاحت هى :

ـ (نور) .. لا تقل لى إنهم سيفعلونها .

ضمها إليه أكثر ، دون أن يجرؤ على إجابتها ، فصرخت فى رعب هائل :

ـ سيفعلونها يا (نور) .

لم يكن أقل منها ذعرًا وارتياعًا ، عندما أصبح القفص فوق منتصف الفجوة البركانية تمامًا ، وقاعه يستقبل أبخرة الحمم الملتهبة ، التى تبدو فى أسفل أشبه بباب مفتوح من أبواب الجحيم ..

ثم بدأ القفص ينخفض فى بطء ، وصرخت (سلوى) فى انهيار :

ـ سيفعلونها يا (نور) ..

وفى هدوء بارد ، استدار الفرسان الخمسة ، واتجهوا نحو الباب العجيب ، فى نهاية القاعة ، فى حين واصل القفص انخفاضه ، و (نور) يصرخ بهم فى غضب هادر :

ـ أيها الأوغاد .

ولكنهم غادروا القاعة بلا مبالاة ، وتركوا القفص ينخفض به وبزوجته نحو الحمم الملتهبة ..

وينخفض ..

وينخفض ..

وينخفض ..

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

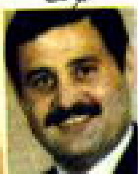
ويليه الجزء الثانى

[رعب فى الأعماق]

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

البركان

- ما سر ذلك البركان ، الذى تفجر فجأة ، في الصحراء الغربية ؟
- أين اختفى الفريق الجيولوجى ، المكلف كشف سر البركان ؟
- ترى كيف يواجه (نور) وفريقه الغموض والخطر ، في قلب (البركان) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وشارك مع (نور) وفريقه ، في مواجهة الخطر .

٨٩



الثمن في مصر
١٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : رعب في الأعماق

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

٩٠

رعب فى الأعماق




نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ـ الرعــب ..

ارتفع أزيز متصل ، داخل قسم التحاليل الطبية ، فى المستشفى المركزى ، وأضىء مصباح أزرق صغير ، فى أحد الأركان ، ثم ارتسمت عدة رموز وكلمات وبيانات ، فوق شاشة كمبيوتر خاص ، وراحت الطابعة المتصلة به تنقل كل هذا إلى ورقة أنيقة ، تحمل شعار المستشفى والقسم ، وانتظرت الممرضة حتى انتهت الطابعة من عملها ، ثم التقطت الورقة المطبوعة ، وألقت عليها نظرة سريعة ، قبل أن تدفعها داخل جهاز خاص ، وهى تقول :

ـ نتائج التحاليل يا دكتور (حاتم) .

انتقلت الورقة فى انسيابية ونعومة إلى جهاز مماثل ، فى حجرة مكتب الدكتور (حاتم زهير) ، رئيس قسم أبحاث النمو بالمستشفى ، الذى التقط الورقة ، وقرأها فى عناية ، قبل أن يرفع عينيه إلى الدكتور (محمد حجازى) ، قائلاً :

ـ كما توقعنا تمامًا .. كل النتائج طبيعية ، مع وجود آثار ضئيلة لمادة مجهولة ، تظهر فى الدم بنسبة لاتكاد تذكر ، ويبدو أنها المادة التى سببت كل هذا .

سأله الدكتور (حجازى) فى لهفة :

- ألا يمكننا عزل تلك المادة ، وتحليلها ؟

مطّ الدكتور (حاتم) شفتيه ، وقال :

- إنها توجد بنسبة ضئيلة للغاية ، ومن العسير الحصول على كمية كافية لإجراء التحاليل منها ، حتى مع استخدام أجهزة التحاليل الحديثة ، ثم إنه من غير الممكن الاعتماد على نتائج تحليلها .

سأله فى حيرة :

- لماذا ؟.. أليست هى المادة المنشودة على الأرجح ؟

أجابه الدكتور (حاتم) :

- هذا احتمال كبير .. مجرّد احتمال .. ولكن حتى لو كانت هذه هى المادة المنشودة ، فهى ليست بالصورة التى نحتاج إليها ، فقد فقدت مفعول النمو الفائق ، وأصبح مفعولها عكسيًا .

بدت المرارة فى وجه الدكتور (حجازى) وصوته ، وهو يقول :

- هل فقدنا الأمل ؟

هزّ الدكتور (حاتم) رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يقول :

- مطلقًا .. إننا لم نبذل كل جهودنا بعد .

ثم خلع منظاره ، وهو يفكر لحظات فى صمت ، دون أن يرفع عينيه عن الدكتور (حجازى) ، وقال فى حذر :

- ربما لو ...

لم يتمّ عبارته ، ولكنه جعل الدكتور (حجازى) يسأل فى لهفة :

- لو ماذا ؟

صمت الرجل لحظات أخرى ، وهو يتطلّع إلى الدكتور (حجازى) فى صمت ، قبل أن يتنهّد ، قائلاً :

- حسن .. الواقع أننى أجرى منذ فترة عدة تجارب حيوية ، حول عقار جديد للنمو ، وربما أمكننا تجربته على (نشوى) .

هتف الدكتور (حجازى) :

- لا مانع .. لو أنك تثق بأنه لن يسبّب لها ضررًا فادحًا .

تردّد الدكتور (حاتم) لحظة ، ثم قال :

- إنه لم يفعل هذا مع حيوانات التجارب ، ولكننا لم نختبر تأثيراته على البشر بعد .

هبّ الدكتور (حجازى) من مقعده ، قائلاً :

- ماذا تنتظر إذن ؟!.. استخدمه .

أجابه الدكتور (حاتم) فى حزم :

- فليكن ، ولكنك تعرف القانون .. سأحتاج إلى موافقة والديها .

تراجع الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

- موافقة والديها؟!.. ولكنك تعلم أنهما ليسا هنا .. إنهما حتى لايدركان مايحدث لها ، ولكننى واثق بأنهما لن يترددا فى الموافقة ، عندما يعودان من مهمتهما .

هزّ الدكتور (حاتم) رأسه فى إصرار ، وقال :

- لايمكننى البدء ، دون موافقة صريحة من والديها .. وهذا قرار نهائى .

خفق قلب الدكتور (حجازى) فى قوة ، إزاء هذا الرفض العنيد ..

من أين يأتى بـ (نور) و (سلوى) الآن؟

إنهما فى أعماق الأرض ، يبحثان عن سر ذلك البركان ، الذى تفجّر فجأة ، فى قلب الصحراء الغربية ..

كيف يحضرهما إلى (القاهرة) ، فى الوقت المناسب؟!..

وعلى الرغم من ذعره وتوتره ، لم يكن الدكتور (حجازى) يدرك سوى ربع الحقيقة فحسب ..

الربع الأكثر وضوحاً ..

أما الجزء الأعظم من المشكلة ، فكان يجهله تماماً ..

الجزء الخاص بذلك الرعب ، الذى يواجه (نور) وفريقه ..

رعب الأعماق ..

لقد هبط الجميع داخل الفجوة ، وهم يتصوّرون أنهم سيواجهون ظاهرة جيولوجية عجيبة فحسب ، ولكنهم وجدوا أنفسهم فى مواجهة ما هو أكثر خطورة ..

مخلوقات من عالم آخر ، جاءت إلى الأرض منذ ملايين السنين ، بعد فناء كوكبها ، وقرّرت بناء حضارة جديدة فوقها ..

ثم جاء العصر الجليدى ، ولم تحتمل هذه المخلوقات البقاء ، فقامت بتجميد عشرة منها ، مع عينات من النباتات والحيوانات لتبقى ، وتستيقظ بعد انتهاء العصر الجليدى ، فترث الأرض وما عليها ..

وتأخّرت لحظة الاستيقاظ ..

تأخّرت ملايين السنين ..

وعندما استيقظت المخلوقات ، كانت الحضارة قد بلغت ذروة لابأس بها ، على كوكب الأرض ..

وشعرت المخلوقات العشرة بالخوف وعدم الأمان ..

وراحت تقاتل دفاعاً عن وجودها ..

وتفرّق أفراد الفريق ، ووجد (رمزى) نفسه داخل معبد تلك المخلوقات ، فى حين سقط (محمود) فى حوض أسماك عملاقة ، ووقع (نور) و (سلوى) فى الأسر ..

وكجزء من طقوس وثنية رهيبة ، وضعت المخلوقات الستة المتبقية (نور) و (سلوى) داخل قفص من الصلب ،

راح يتدلى بهما إلى قلب الحمم ، وينخفض .. وينخفض .. وينخفض (*) !

* * *

فجأة ، استعاد (رمزى) وعيه ..

كل ما شعر به هو أن عقله قد استيقظ دفعة واحدة ، إلا أن عينيه لم تلتقطا سوى الظلام الدامس ، الذى يحيط به من كل صوب ، وبدت أطرافه ثقيلة ، جامدة ، حتى عجز عن تحريكها ، فتمتم فى ألم :

- ما الذى فعلوه بى ؟ .. هل أصابونى بنوع من الشلل مثلاً ؟

حاول مرة أخرى أن يحرّك أطرافه ، إلا أنها رفضت الاستجابة له تمامًا ، فترك جسده يسترخى ، وهو يحاول دراسة الموقف ..

كان راقدًا فوق شىء أملس ، من قطعة واحدة ، وهناك قطع معدنية تلتصق بأصابعه ، وتشدها إلى ذلك الشىء الأملس فى قوة ..

ربما هو مغنطيس قوى ، أو ..

(*) لمزيد من التفاصيل راجع قصة (البركان) .. المغامرة رقم ٨٩

توقفت أفكاره بغتة ، مع ذلك الصوت ، الذى تناهى إلى مسامعه وسط الظلام ..

صوت جسد يزحف فى بطء ..

وتجمّدت الدماء فى عروقه ..

هناك شىء ما يتجه إليه حتماً ..

كائن حى ..

ومن المؤكّد أنه كائن ضخم ، كما تشير حركته ، التى تنقل هذا الصوت الواضح ..

ومرة أخرى حاول أن يتحرّك ، وأن يتملّص من قيوده ، إلا أن المحاولة بدت له مستحيلة ، فاستسلم ثانية ، وعقله يرسم صورة مفزعة مخيفة ..

صورة لكائن خرافى رهيب ، له عيون هائلة حمراء مخيفة ، وأنياب طويلة حادة ، وتكوين أسطورى مفزع .

كائن يزحف نحوه فى بطء ، ويهمّ بالتهامه ..

واستعاد عقله ذكرياته الأخيرة ..

لقد وصل إلى المعبد ، الذى صنعته تلك المخلوقات ، فى باطن الأرض ، وشاهد ذلك الوجه الضخم ، المحفور على الجدار ، والمخلوق الذى يجثو على ركبتيه أمامه ..

ثم هوت تلك الضربة على مؤخرة رأسه ، وفقد الوعى ..

إذن فقد دنّس معبدهم ، فحكموا عليه بالموت ، وتركوه

مع هذا المخلوق ، الذى يزحف نحوه ، ويهمّ بالتهامه ..

وارتجف قلبه فى هلع ، والزحف يقترب أكثر وأكثر ، مع صوت أشبه بالفحيح ..

فحيح أفعى هائلة ..

هائلة بحق ..

* * *

تجمدت أطراف (محمود) تماما ، وهو يحدق فى زوج من أعين كائن بحرى هائل ، يشبه ثعبان بحر عملاقًا ، ورأى فكى الكائن ينفتحان ، وأنيابه الهائلة تبرز ..

وبحركة انسيابية ناعمة ، انقضّ الكائن البحرى عليه ، وارتفعت أنيابه ..

ثم هوت ..

وانتفض جسد (محمود) فى عنف ، عندما وجد نفسه داخل الكائن ، وشعر بشىء خشن يتحسسه ، كلسان ضخم ، فانتزع مسدسه الليزرى فى حركة غريزية سريعة ، وهو يسأل نفسه فى ذعر :

ـ هل تؤثر أشعة مسدسه فى ذلك الكائن ؟..

وضغط (محمود) زناد المسدس ..

وانطلقت الأشعة ..

ومرة أخرى انفتح الفكان ، واندفع جسد (محمود) إلى الخارج ، وسط عاصفة من الفقاعات الضخمة ، أحاطت به من كل صوب ..

وفى قوة وسرعة ، راح (محمود) يضرب الماء بساعديه ، وهو يطلق أشعة مسدسه يمينًا ويسارًا ، حتى شعر بالهواء من حوله ، ورأى حافة الحوض ، فتشبّث بها ، ودفع جسده كله إلى أعلى ، وهو يهتف :

ـ ابتعد .. ابتعد أيها الكائن القذر ..

ألقى جسده على إطار الحوض ، وراح يلهث فى قوة ، ويستنشق الهواء ، وهو يلقى نظرة متوترة على تلك الكائنات العملاقة ، التى تسبح داخل الحوض ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. لقد نجحت ، ولفظنى ذلك الوحش .

ثم ابتسم فى تهالك ، وأضاف :

ـ ولكنه سيحتاج حتمًا إلى طبيب أسنان ماهر .

لبث بضع لحظات ، ولهاثه يخفت رويدًا رويدًا ، ثم لم يلبث أن نهض جالسًا ، وأدار عينيه فى المكان ، وهو يتمتم :

ـ لابد من وجود مخرج آخر من هذا الشىء .. لابد .

نهض يسير على حافة الحوض فى حذر ، ويتحسس الجدران لحظة فلحظة ، ثم يعود ليلقى نظرة قلقة على

الحوض ومخلوقاته ، قبل أن يتوقف إلى جوار رسم لوجه ضخم ، يشمل جزءًا من الجدار ، وهو يقول :

ـ يبدو أنه لا يوجد مخرج آخر .. لامفر من عبور صاعقة الجليد هذه مرة أخرى .

تحسس الرسم بيده فى حذر ، ثم شعر بجزء يغوص تحت أصابعه ، فدفعه إلى الداخل ، مغمغمًا :

ـ تُرى لو ..

انفتح ذلك الجزء من الجدار فجأة ، وهو يدفعه بيده ، فاختلّ توازنه ، ووجد نفسه يسقط فجأة إلى الأمام ، ويتدحرج فوق ممر مائل إلى أسفل ، ورأى الجدار يُغلق خلفه ، فصاح :

ـ كفاكم .. لقد سئمت هذه المفاجآت .

تردد صدى صيحته داخل الممر ، وهو يتدحرج داخله إلى أسفلٍ..

ويهوى ..

ويهوى ..

* * *

غادر المخلوقات الستة القاعة الضخمة فى لامبالاة ، وتركوا القفص الذى يضمّ (نور) و (سلوى) ينخفض ، ويغوص فى الفجوة العميقة ، نحو الحمم الملتهبة فى قاعها ، وانهارت (سلوى) تمامًا ، وهى تصرخ :

ـ لقد فعلوها يا (نور) .. فعلوها .

لم يجب (نور) ، وهو يبحث فى سرعة عن وسيلة للفرار ، من ذلك المصير البشع ، وراحت أصابعه تدرس قفل القفص فى سرعة ، وحرارة الحمم تلفحه ، ويسيل العرق الغزير على وجهه وعينيه ، ثم لم يلبث أن سأل (سلوى) :

ـ هل ترتدين ساعتك الخاصة ؟

تمتمت فى انهيار :

ـ لقد فعلوها .. ستلتهمنا الحمم بلا رحمة .

أمسك كتفيها ، وهزّها فى قوة ، وهو يهتف بها :

ـ هل ترتدين ساعتك يا (سلوى) ؟

حدّقت فى وجهه بارتياع ، فهتف :

ـ (سلوى) .. أجيبى بالله عليك .

رفعت يدها إليه ، وهى تقول بصوت شاحب مرتجف :

ـ ها هى ذى .

حل الساعة من حول معصمها ، وأدناها من قفل القفص ، وهو يضغط أحد أزرارها الجانبية ، والقفص يواصل انخفاضه نحو الحمم ، وسألته (سلوى) :

ـ ماذا تفعل ؟

أجابها فى توتر شديد :

- هذا القفل يشبه الأقفال الإليكترونية التى نستخدمها على الأرض ، وربما نجحت برامج الترددات المتغيرة فى ساعتك ، فى حل شفرته ، وفتحه .

أجابت فى شحوب شديد ، وهى تشعر بالحرارة المتزايدة :

- هل تظن هذا ؟

لم يجب عن سؤالها ، وهو يغير الترددات فى سرعة ..

كانت الحرارة تتزايد أكثر وأكثر ، والقفص يقترب فى بطء من الحمم الملتهبة ، وقلبه يخفق بين ضلوعه فى قوة ، فى حين يكاد قلب (سلوى) إلى جواره يتوقف من شدة الرعب ، وساعتها تطلق ذبذبات فوق صوتية ، بترددات مختلفة ، تتغيّر كل ثانية ..

وفى يأس ومرارة ، قالت (سلوى) :

- لافائـدة يا (نور) .. من الواضـح أن هـذه الأقفال لا ...

قبل أن تتم عبارتها ، سمعت فجأة تكة خافتة ، انتفض لها قلبها بين ضلوعها ، وهى تقول :

- (نور) .. هل ؟

رأته يدفع باب القفص ، ثم يصيح بها :

- هيا .. تعلقى بى .



كانت الحرارة تتزايد أكثر وأكثر ، والقفص يقترب فى بطء من الحمم الملتهبة ، وقلبه يخفق بين ضلوعه فى قوة ..

انتعش الأمل فى نفسها مرة أخرى ، وأسرعت تتعلق به ، وهو يمسك الحاجز العلوى للقفص ، ويصعد فوقه ، ثم يعاونها على الصعود ، ويقول :

ـ سنتسلق هذا الحبل .. إنها فرصتنا الوحيدة .

ألقت نظرة سريعة على الحمم ، التى اقترب منها القفص كثيرًا ، ثم راحت تتسلق الحبل فى سرعة ، وتسلق هو خلفها .. .

كانا يحتاجان إلى مهارة فائقة ، فى هذا المضمار ، فالحبل ينخفض باستمرار ، والأبخرة المتصاعدة من الحمم تجعل الحرارة لاتطاق ، على الرغم من الزى الذى يرتديانه ، وهتفت (سلوى) :

ـ لولا هذا الزى لقتلتنا الحرارة .

قال (نور) فى حزم :

ـ لاوقت لمناقشة هذا .

واصلت تسلقها فى سرعة ، ورأت فى أثناء صعودها تلك الفجوات الواسعة ، فى جوانب الفجوة ، وهمت بسؤال (نور) عما يعنيه وجودها ، إلا أن (نور) حثها على الإسراع ، فتسلقت أسرع وأسرع ، وشعرت بألم فى ساعديها ووسطها ، ولكنها احتملت ، وواصلت ، و ..

وفجأة بلغ القفص الحمم ..

ومع وصوله ، صدرت قرقعة مخيفة ، كما لو أن الحمم تلتهم القفص فى شراسة مدهشة ، فهتفت (سلوى) :

ـ كان يمكن أن تكون داخله .

رأى (نور) فتحة الفجوة تقترب ، فقال فى حسم :

ـ فلنحمد الله سبحانه وتعالى ، على أننا لم نكن كذلك .

تصاعدت حولهما أبخرة كثيفة ، وقالت (سلوى) :

ـ من الواضح أن القفص يتفاعل مع الحمم .

هتف بها (نور) :

ـ اصعدى أولًا .

ومن تحتهما صدرت تلك القرقعة ..

قرقعة مخيفة ، اقترنت بتضاعف كثافة الأبخرة المباغت ، فنظر إلى أسفل ..

وعاد قلباهما يهويان بين أقدامهما ..

لقد ارتفعت الحمم فجأة ، وانتفضت فى قوة ، ثم انطلقت إلى أعلى كالصاروخ ..

انطلقت نحوهما .

* * *

٢ ـ فى الأعمـــاق ..

اتجهت أضواء الكشافات القوية نحو الفجوة الواسعة ، التى أحيطت بعدد كبير من أجهزة الفحص والكشف ، وراح فريق من الرجال والنساء يتحرّك فى أرجـاء المكان ، فى نشاط جم ، على الرغم من أن عقارب الساعة قد تجاوزت الثانية ، بعد منتصف الليل ، واتجه أحد مساعدى الدكتور (ناظم) إلى حجرة كبيرة ، لها جدار زجاجى ضخم ، يطلّ على الفجوة مباشرة ، وطرق بابها فى هدوء ، وهو يقول :

ـ دكتور (ناظم) .. هل يمكننى الدخول ؟

فرك الدكتور (ناظم) عينيه فى تهالك ، وأشار إلى الشاب ، من خلف الجدار الزجاجى ، فدفع الشاب الباب ، ودخل إلى الحجرة ، وألقى نظرة مشفقة على الدكتور (ناظم) ، وهو يضع أمامه قدحًا من القهوة المركّزة ، قائلًا فى صوت خافت ، وكأنما يخشى إزعاج رئيسه :

ـ قهوتك يا سيّدى .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه فى تهالك ، وقال :

ـ أشكرك يا ولدى .. لقد أتيت بها فى موعدها تمامًا .

قال الشاب متعاطفًا :

ـ سيّدى .. لماذا لاتحصل على بضع ساعات من النوم ؟.. إنك تعمل منذ صباح أمس بلا انقطاع .

ابتسم الدكتور (ناظم) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ كيف أنام ، وأنا أتابع موقفًا عصيبًا كهذا ؟

قالها وهو يشير إلى كل الأجهزة والمعدات ، التى تحيط به ، والتى حوّلت الحجرة ، التى تمت إقامتها منذ بضع ساعات فحسب ، إلى مركز متكامل للمراقبة والمتابعة ، بكل مايحويه من أجهزة كمبيوتر ، وشاشات رصد ، ومعدات أخرى ، فقال مساعده :

ـ نحن هنا لمتابعة هذا ياسيّدى ، وسنوقظك عند اللزوم .

ارتشف الدكتور (ناظم) رشفة من قدح القهوة ، وهو يقول :

ـ فيما بعد يا فتى .. فيما بعد .. ما هى إلا بضع ساعات أخرى ، ولايعود أمامى سوى النوم ملء جفنىّ .

سأله مساعده :

ـ أتعنى بعد عودة (نور) وفريقه ؟

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، وقال :

ـ لا أحد يدرى ما إذا كان (نور) وفريقه سيعودون أم لا .. لا أحد حتى يدرى ماذا يصيب كل من يدخل تلك الفجوة الرهيبة ، فلا أحد يعود منها ليخبرنا ما رآه أو سمعه .

جلس مساعده على المقعد المقابل له ، وقال :

ـ ما الذى ننتظره إذن .

أشار الدكتور (ناظم) إلى الأفق ، عبر الجدار الزجاجي ، وهو يقول :

ـ الفجر .. ننتظر بزوغ الفجر ياولدى .

سأله الشاب فى اهتمام :

ـ وماذا سيحدث عندئذ ؟

صمت الدكتور (ناظم) لحظات أخرى ، ثم أجاب فى حزم :

ـ عندئذ ، ولو لم يتم حل المشكلة ، أو كشف غموض هذا اللغز ، سننسف تلك الفجوة ، وندمرها تمامًا .

قال الشاب فى انفعال :

ـ ننسفها ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم ياولدى .. لدى أوامر بنسفها ، وتدميرها عن آخرها ، عند بزوغ الفجر ، حتى ولو لم يعد منها (نور) وفريقه .

بدا الانفعال على وجه الشاب ، وهو يقول :

ـ رباه ! .. أتعنى أنه حتى ...

قبل أن يتمّ عبارته ، أضاءت شاشة الكمبيوتر فجأة ،

وانطلق منه صفير قوى ، وهو يقول بالصوت المعدنى الجامد :

ـ إنذار .. إنذار .. البركان يستعد للانفجار مرة أخرى .. انذار .

وهوت القلوب بين الأقدام ..

سينفجر البركان مرة أخرى ..

أو مرة أخيرة ..

* * *

تجمّدت الدماء فى عروق (رمزى) ، وهو يرهف السمع إلى ذلك الفحيح ، الذى يقترب منه رويدًا رويدًا ، حاملًا الموت فى اقترابه ، وتمتم لنفسه فى عصبية :

ـ لماذا لاينقض ذلك الشيء ، وينهى مهمته على الفور ، بدلًا من الانتظار والتوتر ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى توقّف صوت الزحف ، وارتفع الفحيح على قيد خطوات منه ، فى الظلام الدامس ، وبدا وكأن رأس مخلوق ضخم يرتفع إلى أعلى ، حتى لقد صار الفحيح فى أذنيه مباشرة ..

وارتجفت كل خلية فى جسد (رمزى) ..

واحتبست أنفاسه ..

كان يعلم أن ذلك المخلوق قد تأهّب ، واستعد لالتهامه ..

وخفق قلبه فى قوة ..
وجف لعابه ..
وانتظر مصيره ..
و ...
وفجأة ارتفع ذلك الصوت ..
صوت شىء يتدحرج فى سرعة ، ويتجه نحو المكان ..
وتوقَّف الفحيح دفعة واحدة ..
وتعالى صوت ذلك الشىء ، حتى بلغ المكان ، وارتطم بأرضيته فى قوة ، مع شعاع من الضوء ، وصوت يهتف :
- أخيراً .
وعلى الرغم من أنها كلمة واحدة ، نطقها الشخص الذى سقط فى المكان ، إلا أن أذنى (رمزى) قد ميزتا الصوت وصاحبه ، وهتف فى لهفة :
- (محمود) .. أهو أنت ؟
سمع (محمود) يهتف فى دهشة :
- (رمزى) ؟! .. أين أنت ؟ .. أين أنت يا (رمزى) ؟
ثم شاهد ضوء مصباح (محمود) يتحرَّك فى اتجاهه ..
وتجمَّدت الدماء فى عروقه بحق ..
لقد وقع الضوء على ذلك المخلوق ، الذى كان يسمع فحيحه حتى لحظات مضت ، وشهق (محمود) فى ذعر ، فى حين اتسعت عينا (رمزى) فى رعب شديد ..

كان ذلك المخلوق فى شكل ثعبان ضخم ، له رأسان ، كل منهما فى حجم سيارة كبيرة ، وأنيابه تلتمع مع ضوء المصباح ، وهو يستدير لمواجهة (محمود) ، الذى تراجع هاتفًا :
- رباه ! .. ما هذا الشىء ؟
تغلب (رمزى) على أثر المفاجأة ، وصرخ :
- اقتله يا (محمود) .. اقتله .
صوَّب (محمود) مسدسه إلى ذلك الثعبان ، الذى حرَّك رأسيه فى صمت ، قبل أن يطلق فحيحًا مزدوجًا ، ويتراقص لسانه المشقوق عبر أحد فكيه ، فى نفس الوقت الذى برزت فيه أنياب الفك الآخر ، و (محمود) يغمغم :
- هذا الشىء يحتاج إلى ضربة مزدوجة .
صرخ (رمزى) :
- اقتله يا (محمود) .
وفى نفس اللحظة انقضَّ الثعبان ذو الرأسين على (محمود) ، الذى قفز جانبًا ، وأطلق أشعة مسدسه ، صارخًا :
- القول سهل يا (رمزى) ، ولكن ماذا عن الفعل ؟
أصابت أشعة المسدس أحد الرأسين ، وتراجع الثعبان

بحركة حادة ، وقد سقط الرأس المصاب متراخيًا ، وخبت الحياة فى عينيه ، ثم انقضّ الثعبان مرة أخرى ، وهو يطلق فحيحًا عنيفًا ، فأطلق (محمود) أشعة مسدسه مرة ثانية ، صائحًا :

ـ ابتعد أيها المخلوق .. ابتعد وإلا ..

أصابت أشعته رأس المخلوق الثانى ، إلا أن الثعبان واصل اندفاعه نحوه ، فتراجع فى حدة ، وسقط مسدسه أرضًا ، وهو يهتف :

ـ اللعنة !

سقط أرضًا ، وتوقع الانقضاضة القاتلة ، إلا أن الثعبان الضخم سقط إلى جواره صامتًا هامدًا ، فتطلع إليه بدهشة ، قبل أن يصرخ فرحًا :

ـ لقد انتصرت يا (رمزى) .

قال (رمزى) فى عصبية :

ـ أهنئك .. ولكن هيا .. حل عنى هذه القيود اللعينة ، ودعنا نغادر هذا المكان .

التقط (محمود) مسدسه ، وأسرع إليه ، هاتفًا :

ـ هل رأيت كيف تغيرنا كثيرًا ، منذ قتالنا مع الغزاة(*) ؟.. لو أننى واجهت مثل هذا الموقف من قبل ، لما جرؤت حتى على تصويب مسدسى إليه .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

قال (رمزى) :

ـ هذا عظيم .. حل قيودى أوّلًا ، وسنناقش هذا فيما بعد .

انحنى (محمود) يفحص قيود (رمزى) ، قبل أن يقول فى حيرة :

ـ ما نوع هذه القيود ؟ .. إنه معدن عجيب ، لم أر مثيلًا له من قبل ، فهو يلتصق بالقاعدة ، كما لو كان قطعة منها .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ ولكن هناك حتمًا وسيلة للتحرر منها .. ابحث يا (محمود) .. أرجوك .

أجابه (محمود) :

ـ اهدأ يا صديقى .. إننى أفحصها بالفعل .

هتف (رمزى) فى حدة :

ـ ليس لدينا وقت الدنيا كله لفحصها يا (محمود) .. ربما يباغتنا هؤلاء القادمون من الفضاء ، فتفشل العملية كلها .

قال (محمود) ، وهو يشير إلى قرص مستدير ، فى طرف القاعدة :

ـ ربما كان هذا الشىء هو ...

قبل أن تمتد يده إلى القرص ، ارتج المكان كله

فى عنف ، وانطلقت من أعماق الأرض زمجرة عنيفة ، فهتف (رمزى) فى ذعر :

ـ أسرع يا (محمود) .. لقد ثار البركان مرة أخرى ، وستلتهمنا الحمم .. أسرع ..

ولكن (محمود) تجمَّد فى مكانه فى رعب ، وهوى قلبه بين قدميه ..

لقد ثار البركان ، وستلتهمهما الحمم .

ستلتهمهما بلا رحمة ...

★ ★ ★

حدق الدكتور (ناظم) فى شاشة الكمبيوتر لحظة واحدة ، انتفض خلالها قلبه بين ضلوعه ، ثم صاح فى هلع :

ـ أسرعوا .. أسرعوا .

واندفع خارج حجرته الزجاجية ، التى راحت جدرانها ترتجّ فى قوة ، وهو يصرخ :

ـ أخلوا المكان .. ابتعدوا بأقصى سرعة .. سيثور البركان مرة ثانية .

لم يكن بحاجة فعليًا لهذا التحذير ، فقد شعر الجميع بالارتجاج ، وتلقوا الإنذار ، وراحوا يعدون فى كل صوب ، ويسرعون الى سياراتهم ، وهتف مساعد الدكتور (ناظم) :

ـ وماذا عن كل هذه المعدات ؟.. إنها تساوى ملايين الجنيهات .

أجابه الدكتور (ناظم) ، وهو يقفز داخل سيارته الصاروخية :

ـ حقًا ؟! وكم تساوى حياتنا ؟

حجب الجزء الثانى من عبارته دوى انفجار الجدار الزجاجى لحجرته ، فقفز مساعده إلى المقعد المجاور له ، وهو يهتف فى ذعر :

ـ انطلق ياسيِّدى .. ابتعد بالله عليك .

انطلقت مجموعة من السيارات ، مبتعدة عن الفجوة ، التى تصاعدت منها أبخرة كثيفة ، وراحت جدرانها تتهاوى بسرعة ، وهتف مساعد الدكتور (ناظم) :

ـ ستنفجر الحمم بعد لحظات .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت الحمم من الفجوة .. لم تنطلق بنفس القوة ، التى انطلقت بها فى المرة الأولى ، وإنما تدفقت على جوانب الفجوة ، لمسافة مائة متر فحسب ، وتصاعدت منها فقاقيع قوية ، وأبخرة سوداء هائلة ، قبل أن يهدأ كل شىء ، وتنسحب الحمم مرة أخرى داخل الفجوة ..

ومن بعيد ، توقفت السيارت الهاربة ، ووضع الدكتور (ناظم) مِنظاره المقرّب على عينيه ، وهو يقول :

- انتهت الثورة هذه المرة ، ولكنها التهمت كل شىء .

تمتم مساعده :

- هل التهمت المعدات كلها ؟

تنهّد الدكتور (ناظم) ، وقال فى مرارة :

- ليس المعدات وحدها يا فتى .

لم يفهم المساعد ما يعنيه الدكتور (ناظم) ، ولكن هذا الأخير رفع يده ، وهو يهتف بفريق السيارات التابع له :

- استعدوا يا رجال .. سنعود إلى هناك .

تردد الرجال لحظة ، وسأله أحدهم ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- ألا يحتمل أن يثور البركان مرة أخرى ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وعاد يلقى نظرة على المكان ، قبل أن يجيب فى صوت يحمل رنة يأس ومرارة :

- لا .. لست أظنه يفعل .

ثم أدار محرك سيارته ، وانطلق عائدًا إلى الفجوة ، وتبعه فريق السيارات فى بطء ، كما لو كانوا موكبًا جنائزيًا كئيبًا ، حتى بلغوا أقرب منطقة يمكن الوصول إليها ، فتوقف الجميع ، وهبط الدكتور (ناظم) يفحص المنطقة التى بلغتها الحمم ، قبل أن يتمتم :

- يا للخسارة !

ثم اعتدل ، مستطردًا :

- أريد خبيرًا جيولوجيًا .

تمتم مساعده فى صوت خافت :

- ما رأيك فى الدكتور (جمال) ؟ هل نرسل فى طلبه ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى حزم :

- أريده بعد ساعة واحدة على الأكثر .

أسرع المساعد لتنفيذ الأمر ، فى حين التفت الدكتور (ناظم) إلى أحد أفراد فريقه ، وقال :

- هيا .. اتخذوا كل الاستعدادات اللازمة .. سننسف الفجوة ، ونردمها كلها .

سأله الرجل فى قلق :

- وماذا عن الرائد (نور) وفريقه ، ورجال الأمن الذين ... ؟

قاطعه الدكتور (ناظم) بإشارة من يده ، وهو يقول :

- ماذا تقول يا رجل ؟.. من يمكن أن يبقى على قيد الحياة فى الداخل ، بعد أن بلغت الحمم الملتهبة قمة الفجوة ؟

ثم هزّ رأسه فى مرارة ، وقال :

- لقد انتهى الفريق هذه المرة يا ولدى .. انتهى تمامًا .

وبدأت استعدادات النسف .

* * *

٣ ـ الضـــياع ..

تطلّعت (نشوى) فى قلق إلى الجهاز الصغير ، الذى ألصقه الدكتور (حاتم) بذراعها ، وسألته :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أجابها وهو يمنحها ابتسامة مشجّعة :

ـ مجرّد محقن إليكترونى ، سيعمل على حقنك بنسب دقيقة ومحدودة من عقار نمو جديد ، سنحاول بوساطته إيقاف المفعول الرجعى للعقار الذى استخدمه معك رجال الفضاء .

سألته فى توتر :

ـ ولماذا لاتستخدم محقنًا عاديًا ؟

أجاب فى هدوء :

ـ كمية العقار ينبغى أن تكون شديدة الدقة ، حتى أنه من المستحيل أن ينجح بشرى فى تقديرها .

تمتمت :

ـ هكذا ؟

ابتسم مشجعًا مرة أخرى ، وقال :

ـ نعم .. هكذا .

ثم اتجه إلى باب الحجرة الصغيرة ، التى ترقد داخلها ، وهو يستطرد :

ـ سأتركك وحدك الآن ، فالتجارب تؤكّد ضرورة حقنك بالعقار ، فى درجة حرارة بالغة الدقة أيضا ، وهذه الحجرة ستعاوننا على تحقيق هذا .

قالت فى عصبية :

ـ هل ستتركنى وحدى ؟

تطلّع إليها لحظة متعاطفًا ، وهو يقول :

ـ أتخافين الأماكن المغلقة ؟

نظرت إليه فى حيرة ، وهى لاتجد ماتقول ، ثم لم تلبث أن أشاحت بوجهها ، متمتمة :

ـ كلا .

لم تكن تدرى حقًّا كيف تفسر ذلك الخوف الشديد ، الذى يسرى فى عروقها ، خشية أن يتركها فى الحجـرة وحدها ! ..

أهو خوف طفولى ، وجد طريقه إليها ، مع الانخفاض المتواصل فى عمرها ؟!

أم هو شعورها الرهيب بالوحدة ؟! ..

ذلك الشعور الذى يملأ نفسها ، منذ كشفت مايحدث لها ..؟

الشعور الذى تزايد وتضاعف ، منذ تركها والداها ، وصحبهما (رمزى) ، فى تلك المهمة الغامضة ، فى أعماق الأرض ؟

وربما هو الخوف من مصيرها المجهول !

أو مزيج من كل هذا ! ..

كتمت مشاعرها ومخاوفها فى أعماقها ، وتركت الدكتور (حاتم) يغادر الحجرة ، وراته يتطلع إليها عبر جدار من الزجاج السميك ، وإلى جواره يجلس الدكتور (حجازى) ، يراقبها فى قلق وتعاطف ، وسمعت الدكتور (حاتم) يقول ، عبر جهاز اتصال خاص :

ـ هل أنت مستعدة يا فتاتى ؟

تمتمت :

ـ نعم .. مستعدة .

ضغط زرًا صغيرًا أمامه ، فخفتت الأضواء فى حجرتها الصغيرة ، وارتفعت الحرارة تدريجيًا فى بطء ، والدكتور (حاتم) يقول ، عبر جهاز الاتصال :

ـ لاتشعرى بأى قلق .. سترتفع درجة الحرارة إلى سبع وثلاثين درجة مئوية ، وعندئذ سيعمل المحقن آليًا ، ويدفع كمية محسوبة بمنتهى الدقة ، من العقار الجديد فى عروقك .

أومأت برأسها إيجابًا ، وأعجزها ذلك الجفاف فى حلقها عن الرد ، واستسلمت تمامًا لما سيحدث ، وإن لم تستطع منع تلك الرجفة ، التى تسرى فى أوصالها ، وهى تراقب مؤشر الحرارة ، الذى يرتفع فى بطء ..

وفى حجرة المراقبة الجانبية ، تمتم الدكتور (حجازى) :

ـ مانسبة نجاح التجربة ؟

أشار الدكتور (حاتم) إلى جهاز الاتصال المفتوح ، وهو يقول بحماس مفتعل :

ـ عظيمة !

ثم كتم جهاز الاتصال بيده ، وهمس :

ـ لاأحد يمكنه الإجابة عن هذا السؤال ، فهى أول تجربة للعقار الجديد على البشر .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه متفهمًا ، وأشار إليه ليرفع يده عن جهاز الاتصال ، ثم تنهد ، واسترخى فى مقعده ، يراقب (نشوى) ، التى ترقد على فراشها مستسلمة ، وينقل بصره منها إلى مؤشر الحرارة ، قبل أن يسأل :

ـ ما الحكمة من رفع درجة حرارة الحجرة ؟

أجابه الدكتور (حاتم) :

ـ مع ارتفاع درجة الحرارة ستتسع عروقها ، و ...

اقتحمت (مشيرة) الحجرة ، فى هذه اللحظة ، وقطعت حديثه ، وهى تهتف :

ـ لقد ثار البركان مرة أخرى .

هتف الدكتور (حجازى) فى هلع :

ـ ماذا ؟! ..

أجابت (مشيرة) فى انفعال جارف :

ـ لم تكن ثورته كالسابقة ، ولكن الحمم تصاعدت من جوفه إلى السطح .

قال الدكتور (حاتم) فى توتر :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟

أجابته فى انهيار :

ـ لقد حدث كل هذا و (نور) وفريقه داخله .

شحب وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟.. كانوا داخله .

هتف الدكتور (حاتم) فجأة :

ـ كفى .

ثم تعلق بصره بعدد من الشاشات أمامه ، وهو يستطرد فى عصبية :

ـ لقد أفسدتما كل شىء ..

نقلا بصريهما بسرعة إلى الشاشات ، التى أشارت كلها إلى انفعال جارف ، يعصف بنفس (نشوى) ، وهتف الدكتور (حجازى) فى ارتياع :

ـ يا إلهى !.. جهاز الاتصال !.. لقد سمعت (نشوى) كل شىء .

وهنا .. هنا فقط انفجرت (نشوى) ..

انفجرت باكية ..

* * *

أشار الدكتور (ناظم) إلى الفجوة ، التى اتسعت كثيرًا ، وهو يقول للخبير الجيولوجى الدكتور (جمال) :

ـ هذا هو الموقف كله ، وأنا أريد نسف الفجوة ، بقنبلة ذرية محدودة التأثير ، ذات نشاط إشعاعى منخفض ، فما هى النتائج المتوقعة لهذا ؟

مطّ الدكتور (جمال) شفتيه ، وقال :

ـ لم يحدث هذا قط من قبل ، ولكننا أمام حالة غير تقليدية ، فالبركان عبارة عن فتحة فى قشرة الأرض ، تتصاعد منها الغازات ، وتقذف الصخور مصهورة وصلبة ، وغالبًا ما تكون على هيئة جبل مخروطى الشكل ، ولقد رصدنا عدة براكين انفجرت تحت سطح المحيطات ، وفى أعماقها ، ولكننا لم نشاهد بركانًا يتفجّر من فجوة فى قلب الصحراء .

سأله الدكتور (ناظم) بصبر نافد :

ـ المهم ماذا يمكن أن يحدث ، لو نسفنا هذه الفجوة ؟

عاد يمط شفتيه ، ويقول :

ـ ربما يمكننا بهذا ردمها ، ولكن الانفجار سيؤدى إلى

ضغط الحمم فى الأعماق ، وربمـا بسبب هذا ثورة بركانية ، فى مكان ما .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه ، وقال :

ـ فليكن .. هذا كل ما أحتاج إليه .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، وقال فى حزم :

ـ استعدوا لنسف الفجوة .

سأله مساعده فى قلق :

ـ ألن ننتظر حتى ..

قاطعه فى صرامة :

ـ كلا .. لن ننتظر .

كان الفجر يرسم ألوانه الأولى فى الشفق ، عندما اتجه أحد الرجال إلى حيث يقف الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ كل شىء متأهب للانفجار .

التقط الدكتور (ناظم) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ على بركة الله .

وألقى نظرة أخيرة على الفجوة ، ثم اتجه نحو جهاز التفجير ، وهو يقول :

ـ دعونا ننهى هذه القضية .

ولكن فجأة ، انشقت الأرض على قيد ثلاثة أمتار منه ، وبرز ذلك المخلوق ، ليحول بينه وبين جهاز التفجير ، وهو يصوّب إليه بندقيته ..

وتراجع الدكتور (ناظم) بحركة حادة ، وهو يهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟

ومع تراجعه تعثّر ، وسقط على ظهره ..

وجاء سقوطه هذا فى اللحظة المناسبة ، فقد أطلق المخلوق بندقيته نحوه ، ولكن الأشعة تجاوزته ، وأصابت الخبير الجيولوجى ، الذى ارتجف جسده فى قوة ، ثم تهاوى أشبه بشىء رخو مخيف ، وقد تحطمت عظامه وتفتتت ، وانهار هيكله كله دفعة واحدة ..

وانطلق الصراخ والعويل من كل مكان ، وراح الجميع يعدون فى رعب هائل ، فى حين برز عدد آخر من تلك المخلوقات ، وانطلقت أشعة بنادقهم تحصد البشر حصدًا ، فانطلق الدكتور (ناظم) ومساعده نحو سيارة قريبة ، وصاح المساعد ، والدكتور (ناظم) يبتعد بها فى سرعة مخيفة :

ـ ما هذا يا دكتور (ناظم) ؟.. ما الذى يحدث بالضبط ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى توتر بالغ :

ـ هذا ما كنت أخشاه بالضبط .. هذه المخلوقات هى سبب كل ما يحدث هنا .. لقد قتلت الجميع بالداخل ، ثم صعدت إلى السطح .

شحب وجه الشاب فى شدة ، وهو يتمتم فى رعب :



وأمام عينيه ، شاهد أحد المخلوقات يتصدى لسيارة صاروخية مسرعة ، ثم يطلق أشعة بندقيته نحوها ، وينسفها نسفًا ..

ـ وماذا ستفعل بعد هذا ؟ ..

لم يجب الدكتور (ناظم) .

هو نفسه كان يجهل ما ستفعله تلك المخلوقات بعد هذا .

كل ماكان يهمه ، في هذه اللحظة ، هو أن يبتعد عن هذا المكان ، قبل أن يتحوّل بدوره إلى كيان منهار رخو ..

وأمام عينيه ، شاهد أحد المخلوقات يتصدى لسيارة صاروخية مسرعة ، ثم يطلق أشعة بندقيته نحوها ، وينسفها نسفًا ..

وفجأة ظهر أمام سيارته مخلوق آخر ، صوّب إليه بندقيته بدوره ، فصاح مساعده في رعب :

ـ سيقتلنا .

ولكن الدكتور (ناظم) انحرف بالسيارة في اللحظة المناسبة ، وتفادى الصاعقة التي أطلقتها بندقية المخلوق نحوه ، ثم مال بالسيارة مرة أخري ، وانقضّ بها على المخلوق ، هاتفًا :

ـ ابتعد .

اصطدمت السيارة بالمخلوق في قوة ، وألقته أمامها في عنف ، ثم واصلت طريقها بأقصى سرعته ، والمساعد يهتف :

ـ هل .. هل قتلته يا سيدي ؟

ألقى الدكتور (ناظم) نظرة على مرآة سيارته ، وقال وهو يرى المخلوق ينهض فى بطء :

ـ كلا .. من الواضح أن أجسادهم أكثر قوة من أجسادنا بكثير ، فلو أصابت السيارة بشريًا ، للقى مصرعه على الفور .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

ـ وهذا يعنى أننا نواجه مرة أخرى خطرًا قادمًا من الفضاء الخارجى ، ولا أحد يدرى كم تبلغ قوة هذا الخطر .. لا أحد على وجه الأرض كلها .

وواصل الانطلاق بأقصى سرعته ..

* * *

« سأذهب إلى هناك .. » .

نطقت (نشوى) العبارة فى إصرار وعناد شديدين ، وهى تنزع المحقن الإليكترونى عن ذراعها ، فقالت (مشيرة) فى قلق :

ـ ولكن هذا يتعارض مع محاولات علاجك وإنقاذك يا (نشوى) ، ثم أنه ليس لديك ماتفعلينه هناك .

كرّرت (نشوى) فى حدة :

ـ سأذهب .. ربما أمكننى إنقاذهم .

قال الدكتور (حجازى) متوترًا :

ـ دعك من هذا العناد ، مازال الأمر يحتاج إلى بعض الفحوص ، و ...

قاطعته :

ـ لاتحاول يادكتور (حجازى) .. لن يمنعنى شىء فى الدنيا من الذهاب .

صاح بها الدكتور (حاتم) فى غضب .

ـ كفى عبثًا وأفعالاً طفولية .. إنك تفسدين كل شىء .

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تقول :

ـ من يدرى يادكتور (حاتم)؟.. ربما صرت طفلة بالفعل .

شعرت (مشيرة) بالشفقة عليها ، فربّتت على كتفها ، قائلة فى حنان :

ـ لاتفكرى بهذا الأسلوب يا (نشوى) .. فكرى بشكل عملى ياصغيرتى .. إنك تحتاجين إلى هذا العلاج بشدة ، ولن يمكنك عمل شىء لوالدك ورفاقه ، لو أن ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، فازدردت لعابها ، وتمتمت :

ـ المهم أن تفكرى بشكل عملى .

انهمرت الدموع من عينى (نشوى) ، وهى تقول :

ـ لماذا؟.. لماذا أفكر بشكل عملى ، ولماذا أحاول العودة إلى العمر الذى كنت عليه ، لو أننى فقدت كل من

أحب ، فى الدنيا كلها؟.. لماذا أحاول البقاء ، دون من أحب؟..ألكى أتعذب بفقدهم؟.. لا يا (مشيرة).. لامعنى للبقاء ، فى ظروف كهذه.. إننى لم أشعر بالحزن فقط لأننى أفقد عمرى ، ولكننى شعرت بالأسى والمرارة؛ لأن هذا سيحرمنى ممن أحب .

شعرت (مشيرة) بيد باردة تعتصر قلبها ، وهى تغمغم :

- إننى أفهم هذا .

مسحت (نشوى) دموعها ، واعتدلت قائلة :

- لهذا سأذهب .. سأذهب إلى الفجوة ، وأبذل قصارى جهدى للبحث عن أبى و ... ورفاقه .. فإما أن أعثر عليهم ، وأعود لاستكمال العلاج ، أو أفشل فى ذلك ، وعندئذ لن أعود .

نطقت عبارتها الأخيرة فى حزم صارم ، جعلها أشبه بوالدها ، فتبادل الجميع نظرات متوترة ، قبل أن تقول (مشيرة) :

- فليكن .. هيا بنا .

التفتت (نشوى) إليها فى دهشة ، وقالت :

- ولكن .. المفروض أن أذهب وحدى ، و ...

قاطعتها (مشيرة) فى حزم :

- بل سأذهب معك يا (نشوى) .

ثم أحاطت كتفى (نشوى) بساعدها ، وضمتها إلى صدرها فى حنان ، وهى تضيف :

- لن أتخلى عنك أبدا .

ومرة أخرى ، شعرت (نشوى) بالارتياح ، وهى بين ذراعيها ، ووجدت نفسها تقول فى استسلام :

- فليكن يا (مشيرة) .. سنذهب معا .

ولم تمض دقائق على حوارهما هذا ، حتى كانت سيارة (مشيرة) تنطلق بهما متجهة إلى الفجوة ، و (مشيرة) تقول :

- لست أدرى ماذا سنجد هناك بالضبط؛ فمراسلنا لم يرسل أية أخبار ، منذ نصف ساعة كاملة .

غمغمت (نشوى) :

- ربما انقطعت الاتصالات خارج الفجوة ، كما انقطعت داخلها .

لم يكن هذا التفسير مقنعا بالنسبة لـ (مشيرة) ، فغمغمت :

- ربما .

كانت تشعر بقلق مبهم ، كلما اقتربت من موقع الفجوة ، والشمس تشرق ، وضوءها ينتشر فى كل مكان ، ويلقى ظلالا مخيفة على الصحراء ، حتى بدت الفجوة من بعيد ، فعقدت (مشيرة) حاجبيها ، وهى تقول :

- عجبًا !.. لايوجد أحد هناك .
سألتها (نشوى) :
- هل تركوا المعدات وحدها ؟
لم تحتج فى الواقع إلى جواب (مشيرة) ، فقد التقطت عيناها المشهد كله دفعة واحدة ، ورأت الحطام المنتشر فى كل مكان ، والجثث الرخوة المنهارة ، فشهقت فى ذعر ، وهتفت :
- رباه !.. أية مذبحة حدثت هنا ؟
كان قلب (مشيرة) ينتفض خوفًا ، ولكن حاستها الصحفية غلبت خوفها ، وجعلتها توقف سيارتها فى قلب المذبحة ، ثم تلتقط آلة التصوير الخاصة بها ، وهى تقول :
- ياللهول !.. من فعل هذا ؟.. بل ما الذى فعل هذا ؟
راحت تلتقط الصور الهولوجرافية فى سرعة وانفعال ، فى حين اقتربت (نشوى) من الفجوة فى حذر ، وغمغمت :
- لقد تحطم كل شىء على نحو مخيف ، وتوجد كتل ضخمة من الزجاج فى كل مكان .
اعتدلت (مشيرة) ، وهى تقول فى دهشة :
- الزجاج ؟!.. ما الذى يعنيه وجود كتل الزجاج هنا ؟
أجابتها (نشوى) :

- إنه نتاج طبيعى لحرارة الحمم ، عند امتزاجها بالرمال ، فالزجاج يتكوّن أساسًا من السليكات والقلويات ، والرمال تتكوّن من الكوارتز والسليكات ، وحرارة الحمم تكفى لمزجه بالقلويات ، وإنتاج كتل غير منتظمة من الزجاج(*) !
هتفت بها (مشيرة) :
- لاتقتربى من الفجوة كثيرًا .
أجابتها (نشوى) :
- لاتقلقى .. إننى أتحرّك فى حذر .
ألقت عليها (مشيرة) نظرة قلقة ، ثم عادت تولى المكان انتباهها ، وهى تقول :
- الأمر يبدو كما لو أن إعصارًا أصاب المكان ، ومزّق كل شىء ، و ...
بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدق فى شىء ما ، ثم اقتربت منه مغمغمة :
- عجبًا !! هذا الزى يبدو كما لو ...
قطعت عبارتها بشهقة قوية هذه المرة ، وهى تتراجع فى رعب ، فاعتدلت (نشوى) تسألها فى توتر :

(*) حقيقة علمية .

- ماذا حدث ؟

أجابتها (مشيرة) ، وهى ترتجف فى رعب :

- هذه الأجساد .. لقد .. لقد خلت من عظامها ، وصارت مجرّد كيانات رخوة .. هذا أمر رهيب .. أكثر الأشياء التى رأيتها فى حياتى بشاعة .

ارتجفت (نشوى) بدورها ، وهى تقول :

- أى فعل شيطانى هذا ؟

وتحرّكت نحوها مستطردة :

- ألا يحتمل أن ...

وفجأة ، وقبل أن تتم عبارتها ، برز فجأة أحد المخلوقات أمامها ، من قلب الأرض ، وصوّب إليها بندقيته ، فأطلقت صرخة مدوية ، و ..

وأطلق المخلوق البندقية .

* * *



٤ - قلب الخطر ..

قفز القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية من مكانه ، وهو يهتف فى وجه الدكتور (ناظم) :

- جيش من الفضاء الخارجى ؟! .. أى قول هذا ؟

لوّح الدكتور (ناظم) بذراعيه فى انفعال ، وهو يجيب :

- لقد باغتونا على نحو مخيف ، وبرزوا من أعماق الأرض ، كشياطين انشقت عنهم التربة ، وراحوا يطلقون نحونا بنادق بدائية الشكل ، ولكن أشعتها تفتّت الأجساد ، وتسحق العظام .

عاد القائد الأعلى إلى مقعده ، وضغط عددًا من الأزرار ، وهو يسأله فى توتر :

- وكم يبلغ حجم هذا الجيش ؟.. ما العتاد الذى يمتلكه ؟.. وما ..

قاطعه الدكتور (ناظم) :

- لم يكن هناك وقت لدراسة كل هذا .. لقد انقضوا علينا فجأة .

لوّح القائد الأعلى بكفيه ، وقال :

- كيف يبدون إذن ؟.. كيف يقاتلون ؟.. لابد أن نعرف بعض المعلومات على الأقل .

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ إنهم يشبهون البشر ، فى تكوينهم الخارجى ، ولكن أجسادهم مغطاة بحراشيف سميكة ، وقوة احتمالهم تفوق كثيرًا قوة احتمالنا ، فقد صدمت أحدهم بسيارتى الصاروخية ، ولكنه عاد ينهض ليواصل قتاله .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى قوة ، وهو يقول :

ـ هذا يكفى .

ثم ضغط زرًا آخر ، وقال :

ـ إنذار عام .. إلى جميع قوات الطوارئ ، على مشارف (القاهرة) .. استعدوا للتصدى لهجوم من الفضاء الخارجى .. أكرر ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين من شاشة راصد تجاوره ، وارتسمت عليها عدة عبارات سريعة ، شحب لها وجه القائد الأعلى ، قبل أن يقول :

ـ لقد تأخرنا كثيرًا .

تطلع إليه الدكتور (ناظم) فى توتر وانفعال ، فأشار القائد الأعلى إلى الشاشة ، مستطردًا :

ـ لقد بدأ الهجوم .

ثم امتلأ صوته بالمرارة ، وهو يتابع :

ـ بدأ فى أقرب قاعدة جوية للصحراء .

وعاد ينظر إلى الشاشة فى أسى ..

★ ★ ★

أطلقت (نشوى) صرخة مدوية ، عندما رأت أمامها ذلك المخلوق ، وهو يصوب إليها بندقيته ، وصاحت (مشيرة) فى هلع :

ـ (نشوى) .. احترسى .

ولكن المخلوق لم يتردد ..

وضغط زناد بندقيته ..

وانطلقت أشعته الساحقة .

وعلى الرغم من أن كل شىء قد سار بنفس السرعة ، التى يمكن بها قراءة العبارات السابقة ، إلا أن الأشعة لم تصب (نشوى) ..

لقد خرج مخلوق آخر من الفجوة ، فى نفس اللحظة ، وجذب (نشوى) بعيدًا عن الأشعة ..

مخلوق بشرى ..

نعم .. ففى أدق وأخطر لحظة ، فوجئت (مشيرة) بـ (سلوى) تقفز عبر الفجوة ، وتجذب (نشوى) بعيدًا ، وهى تصرخ :

ـ ابتعدى يا (نشوى) .



فى أدق وأخطر لحظة ، فوجئت (مشيرة) بـ (سلوى) تقفز عبر الفجوة ، وتجذب (نشوى) بعيدًا ..

تجاوزتهما الأشعة ، وهتفت (نشوى) :

ـ أمي .. إنك على قيد الحياة .

أجابتها (سلوى) بسرعة :

ـ نعم يا بنيتى..كلنا نجونا .

ثم حدقت فى وجهها بذهول ، مستطردة :

ـ (نشوى) .. إنك تبدين كما لو ...

وأطلقت شهقة قوية ، وهى تخفى فمها بكفها ، فى حين صرخت (مشيرة) :

ـ احترسا .

كان المخلوق يستعد لإطلاق بندقيته مرة ثانية ، و (سلوى) تحدق فى وجه ابنتها فى ذهول ، وصرخت (مشيرة) مرة ثانية :

ـ سيقتلكما .. ابتعدا .

انتفضت (سلوى) فى قوة ، ونظرت إلى المخلوق فى ذعر ، وهو يصوّب إليهما بندقيته مرة ثانية ..

ولم يكن هناك مجال للفرار ..

ولكن فجأة ، ارتجت الأرض فى قوة ، ثم تحطم جزء منها ، على قيد ثلاثين مترًا من الفجوة ، وانطلق منها جسم بيضاوى كبير ..

وهتفت (سلوى) :

- (نور)؟!

التفتت (نشوى) فى لهفة إلى الجسم البيضاوى ، الذى دار دورة نصف كاملة فى الهواء ، قبل أن ينقض على المخلوق ، الذى أدار فوهة بندقيته إلى الجسم البيضاوى فى سرعة ، وضغط الزناد ...

وانطلقت الأشعة نحو الجسم البيضاوى ، الذى تفاداها بمناورة بارعة ، ثم أطلق أشعة مماثلة نحو المخلوق ، انتزعته من مكانه فى عنف ، وألقته داخل الفجوة فى قوة ..

وهتفت (مشيرة) :

- أهذا (نور)؟

دار الجسم البيضاوى نصف دورة أخرى ، ثم انخفض فى سرعة ، واستقرّ فى هدوء على الأرض ، ثم وثب منه (نور) و (محمود) ، فى نفس اللحظة التى برز فيها (رمزى) من الفجوة ، وهو يقول :

- لقد سحقته الأشعة سحقًا .

أسرع (نور) نحو زوجته وابنته ، وهو يقول :

- حمدًا لله .. لقد وصلنا فى الوقت المناسب ، ولولا هذا ...

تجمّدت الكلمات فى حلقه ، وهو يحدّق فى وجه

(نشوى) فى ذهول ، فى حين هتف (محمود) فى توتر بالغ :

- يا إلهى ! .. من فعل بك هذا يا (نشوى)؟

أما (رمزى) ، فلم يصدّق أبدًا ما يراه ..

لم تكن هذه هى (نشوى) ، التى تركها منذ عدة ساعات ..

كانت فتاة أخرى ، لايتجاوز عمرها السابعة عشرة ..

فتاة صغيرة ، بسيطة ، يطلّ من عينيها حزن الدنيا كله ..

وفى ذهول تمتم (نور) :

- ماذا حدث؟

أجابته (مشيرة) :

- ابنتك تعانى من مشكلة رهيبة يا (نور) .

غمغم فى مرارة ، وهو يتطلّع إلى ابنته :

- هذا يبدو واضحاً .

وبكت (نشوى) ، وهى تقول :

- إننى أحتاج إليك يا أبى ..

هتف فى حرارة :

- وأنا رهن إشارتك يا (نشوى) .

أسرعت (مشيرة) تروى له الموقف فى اختصار ، واستمع هو إليها فى اهتمام ، ثم قال فى حزم :

- هذا يعنى ضرورة ألا نضيع لحظة واحدة يا (مشيرة).. هيا عودى بـ (نشوى) إلى المستشفى المركزى ، وأخبرى الدكتور (حاتم) أننى أوافق على كل ما يفعله ، لو أن هذا يحمل أدنى أمل فى إنقاذ (نشوى).

ثم أمسك كتفى ابنته ، وتطلع إليها فى حنان وأسى ، وهو يقول:

- اذهبى معها يا (نشوى) ساعديهم يا بنيتى ليمنحوك أى أمل فى البقاء .

سألته بعينين مغرورقتين بالدموع :

- وماذا عنك يا أبى ؟

عضّ شفته السفلى فى مرارة ، وهو يقول :

- سألحق بك بإذن الله يا بنيتى ..هيا .. اذهبى .

قال (رمزى) فى حزم :

- سأذهب معها .

ألقى عليه (نور) نظرة سريعة ، وقال :

- هيا .. افعل .

اتجهت (نشوى) مع (مشيرة) إلى سيارة هذه الأخيرة ، فى حين أمسك (نور) ذراع (رمزى) ، وقال :

- (رمزى) .. لو لم تكتب لى الحياة ، فلاتتخل عنها أبدا .

ربّت (رمزى) على يده ، وقال :

- اطمئن يا (نور) .

ثم لحق بـ (نشوى) و (مشيرة) ، وبكت الأولى فى مرارة ، وهى تودّع والديها ، فى حين حاولت (مشيرة) تغيير الموقف ، فسألت (رمزى) :

- ولكن كيف نجوتم ؟

غمغم :

- لقد عثرنا على الكثير فى أسفل .

قالت فى دهشة وتساؤل :

- ولكن البركان ثار مرة ثانية ، والحمم بلغت قمة الفجوة ، فكيف لم تقض عليكم ؟!

أجاب فى خفوت :

- لهذا قصة .

ثم راح يروى لها ماحدث هناك .. فى الأعماق ..

* * *

ارتفعت الحمم فجأة ، وانتفضت فى قوة ، ثم انطلقت إلى أعلى كالصاروخ ..

وأطلقت (سلوى) صرخة رعب هائلة ، وهى تقول :

- إنها النهاية يا (نور) .

صاح بها (نور) :

- تشبثى يا (سلوى) .

قالها وقلبه يرتجف بين ضلوعه ، وعيناه تحدقان فى

الحمم ، التى تتصاعد فى سرعة ، إلا أن تلك الحمم لم تلبث أن اندفعت عبر الفجوات العديدة ، التى تحيط بجدار الفجوة الرئيسية ، وتوقف ارتفاعها دفعة واحدة ، فهتف (نور) :

ـ رباه !.. لم ينته الأمر بعد .

ثم صاح بـ (سلوى) :

ـ هيا .. أسرعى يا (سلوى) .

لم تصدق نفسها فى البداية ، ثم لم تلبث أن واصلت التسلق ، بكل لهفة الحياة فى عروقها ، حتى بلغت حافة الفجوة ، فتشبثت بها ، وألقت جسدها خارجها ، وراحت تلهث فى شدة ، ولحق بها (نور) ، ورقد إلى جوارها يلهث بدوره ، حتى سألته فى انفعال :

ـ ماذا حدث ؟.. كيف نجونا ؟

أجابها :

ـ هذه الفجوات الجانبية هى نظام التدفئة ، الذى استخدمه هؤلاء ، لإنعاش مخلوقاتهم ، فالحمم تنطلق من الأعماق ، وترتفع إلى مستوى هذه الفجوات ، التى تؤمن لها سبل الحركة ، فتندفع عبرها ، وتسير فى شبكة تم إعدادها مسبقًا ، فترتفع حرارة المكان كله دفعة واحدة ، وتنطلق منه الحمم إلى السطح ، دون أن تدمر الأشياء والمعدات ، الموجودة داخل المكان .

قالت لاهثة :

ـ يا إلهى !.. لقد أعدوا كل شىء بدقة بالغة .. كيف إذن لم تكن لديهم القدرة على البقاء ؟.. لماذا اختاروا عشرة منهم فحسب ؟

أجابها (نور) ، وهو يلتقط أنفاسه :

ـ ربما لم تكن قدراتهم تكفى لإعالة الجميع ، طوال فترة العصر الجليدى .

ثم نهض فى بطء ، وألقى نظرة على القاعة الكبرى ، التى شاهدوا فيها مراسم إحراق الجثث ، وتابع :

ـ من الواضح أننا أمام حضارة هائلة ، بلغت منذ ملايين السنين شأنًا لابأس به ، ولكنها تحتضر الآن ، على الرغم من كل ما فعلته ، لتفسح الطريق أمام حضارة أخرى .

نهضت (سلوى) بدورها ، وهى تقول :

ـ من يدرى ؟.. ربما تستعد لتدمير هذه الحضارة الأخرى ، للنهوض على أكتافها .

التفت إليها فى حركة سريعة ، والتقى حاجباه ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

ـ وهذا يعنى ضرورة أن نبذل قصارى جهدنا ؛ لنغادر هذا المكان ، ونبلغ عالمنا بما ينتظره ، ليتأهب لصد هذا الغزو الجديد .

سألته فى قلق :

ـ وكيف يمكننا مغادرة المكان يا (نور) ؟

أجاب فى سرعة :

ـ سنبحث عن وسيلة .

ثم أضاف وهو يلقى نظرة أخرى حوله :

ـ ولكن أليس من العجيب أنهم غادروا المكان جميعًا ، ولم يبق أحدهم لمراقبة ماسيحدث ، والتأكد من مصرعنا على الأقل ؟!

تلفتت حولها بدورها ، وهى تقول :

ـ كدت أسألك عن هذا .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى انطلقت زمجرة مخيفة ، ارتجّت لها جدران القاعة كلها دفعة واحدة ..

ثم برز ذلك الوحش ..

حيوان ضخم ، يشبه غوريلا كبيرة ، ولكن جسده عار من الشعر ، ويشبه جسد مصارع زنجى عملاق ، لولا أن قدميه تشبهان قوائم الخيول ، بحوافر لامعة حادة ، ووجهه يشبه وجه أسد أسود ..

وأطلقت (سلوى) شهقة قوية ، وهى تتراجع هاتفة :

ـ رباه ! .. أى شىء هذا ؟

امتدت يد (نور) لتنتزع مسدسه الليزرى ، ولكنه انتبه إلى أن أحد المخلوقات قد أخذه منه ، عندما تم أسره مع زوجته ، فتراجع نحو فجوة الحمم ، وهو يقول :

ـ إنه الحارس ، الذى وضعوه لحماية المكان ، والتيقن من مصرعنا .

ضرب الحيوان صدره بقبضتيه ، تمامًا كما تفعل الغوريلا ، ثم أطلق زمجرة ثانية ، واتجه إليهما فى بطء ، فأشار (نور) إلى زوجته ، وقال :

ـ ابتعدى يا (سلوى) .

قالت فى حزم :

ـ سنقاتله معاً .

صاح بها :

ـ قلت : ابتعدى .. وحاولى الفرار من هنا ، لو عثرت على مخرج للقاعة ، فلابد أن يبقى أحدنا على قيد الحياة ، لتحذير العالم مما سيحدث .

هتفت فى عناد :

ـ بل سنقاتله معاً .

ومع عبارتها الأخيرة ، انقضّ الحيوان ..

انقضّ عليها فى البداية ، كما لو كان قد اتخذ قراره بالقضاء على الخصم الأكثر ضعفاً فى البداية ..

وصرخت (سلوى) ، عندما أمسكها الحيوان من وسطها ، ورفعها فى قوة ، واتجه بها نحو فجوة الحمم ، فى حين صاح (نور) ، وهو يهاجمه :

ـ لن أسمح لك .

وثب يتعلق بعنقه من الخلف ، ويهوى على مؤخرة رأسه بلكمة عنيفة ..

وأطلق الحيوان زمجرة أخرى مخيفة ، ثم ألقى (سلوى) أرضاً ، واستدار يواجه (نور) فى غضب ، فتراجع (نور) قائلاً :

ـ نعم .. هذا أفضل .

تحرك الحيوان نحوه فى شراسة ، وهو يبرز أنيابه فى وحشية ، و (نور) يراوغه فى حذر ، فى حين نهضت (سلوى) فى سرعة ، على الرغم من الآلام التى تشعر بها فى ظهرها ، واختطفت قطعة معدنيــة من الأرض ، وانقضت على الحيوان من الخلف ، وهوت بها على مؤخرة عنقه ..

وأطلق الحيوان زمجرة مخيفة هذه المرة ، ثم أدار قبضته إلى الخلف فى قوة وعنف ، ولطم (سلوى) لطمة شديدة ، ألقتها إلى الوراء ، فصاح به (نور) غاضبًا :

ـ أيها الوغد .

وانقض عليه بكل ثورته وغضبه ، وراح يلكمه فى عنقه ورأسه ، فاستدار إليه الحيوان ، ولطمه بدوره لطمة شديدة العنف ، انتزعته من مكانه ، وألقته مترين كاملين إلى الخلف ، قبل أن ينقضّ عليه الحيوان مرة أخرى ، وهو يبرز أنيابه فى وحشية ..

وفى هذه المرة أمسكه الحيوان من عنقه ، ورفعه إلى أعلى ، ثم رفع قبضته ليهوى بها على فكه ، ولكن (نور) ضربه بقدمه فى معدته بقوة ..

ولم يتأثر الحيوان بالضربة ..

لقد أطلق زمجرة خافتة ، ثم هوى بقبضته ..

وتحطمت خوذة (نور) ..

تهشّمت فى عنف ، وقبضة الحيوان تخترقهـا ، وتتجاوزها إلى فك (نور) ، الذى تلقى واحدة من أكثر اللكمات عنفاً فى حياته ، وكاد عنقه ينخلع لها ، قبل أن يلقيه الحيوان أرضاً ، على قيد شبر واحد من فجوة الحمم ..

واندفعت (سلوى) نحو المخلوق ، هاتفة :

ـ أيها الوحش الحقير .

لطمها الحيوان مرة أخرى ، فارتطمت بتمثال صغير ، وسقطت معه أرضاً ، وتهشمت خوذتها أيضاً فى عنف ، فى حين تجاهلها الحيوان تماماً بمجرّد سقوطها ، والتفت إلى (نور) ، الذى حاول أن ينهض ، قائلاً ..

- اتركها أيها الوغد .
أطلق الحيوان زمجرة شديدة الوحشية هذه المرة ، ثم اندفع بكل قوته نحو (نور) ، وصرخت (سلوى) فى ارتياع :
- (نور) .
كان (نور) على مسافة نصف المتر من فجوة الحمم ، عندما انقضّ عليه الحيوان المفترس ، وهو يهمّ بدفعه داخل الفجوة ..
وفجأة ، ألقى (نور) جسده أرضاً ، ورفع قدميه إلى أعلى ، يستقبل بهما الحيوان الشرس ، ثم دفعهما فى بطن الحيوان ، وصاح وهو يرفعه بكل قوته :
- فليكن أيها الوحش.. أنت أردت هذا .
وبحركة سريعة ، مالت قدماه إلى الخلف ، دافعة الحيوان نحو فجوة الحمم ..
وطار جسد الوحش مترًا واحدًا فى الهواء ، قبل أن يهوى فى فجوة الحمم ، وهو يطلق صيحة رهيبة ، انتفض لها جسد (سلوى) فى قوة ، قبل أن يبلغ مسامعها صوت سقوطه فى قلب الحمم ، وتتصاعد بعدها أبخرة كثيفة من الفجوة ، و (نور) ينهض فى بطء ..
وفى صوت يرتجف من فرط الارتياع والاضطراب ، قالت (سلوى) :

- هل .. هل لقى مصرعه ؟
أومأ (نور) برأسه إيجاباً ، وهو يقول فى مرارة :
- لقد اضطرنى لهذا .
لم تكن طبيعته النافرة من القتل والدمار قد فارقته بعد ، على الرغم من كل مامرّ به من أحداث ، فى حياته الحافلة ..
كان دائمًا ذلك الشاب الهادئ ، المحب لكل ماتحيطه به الطبيعة ..
الشاب الذى يبغض التدمير ..
وفى بطء ، اقتربت منه (سلوى) ، وتركت رأسها يستكين على كتفه ، فأحاط وسطها بذراعه فى حنان ، وكرّر :
- لقد اضطرنى إلى هذا .
همست :
- أعلم هذا .
ران عليهما الصمت لحظات ، وهما يتطلعان إلى الفجوة ، والأبخرة المتصاعدة منها ، ثم انتفض جسد (نور) فجأة ، وهو يقول :
- يا إلهى ! .. كيف لم أنتبه إلى هذا ؟
سألته (سلوى) فى قلق :
- لم تنتبه إلى ماذا ؟
أجاب فى انفعال :

- لقد تحطمت خوذتانا ، ولكننا لم نختنق بالغازات البركانية .

هتفت :

- هذا صحيح .. أنا أيضاً لم انتبه لما حدث .

أشار إلى الفجوة ، وقال :

- ولكن الغازات البركانية تتصاعد ، وهذا يعني أنه هناك نظام تهوية وتنقية محكم .

وتلفت حوله في لهفة ، مستطرداً :

- وربما كان هو وسيلتنا للخروج من هنا .

قالت في توتر :

- هناك الباب الذي دخلنا منه .

أجابها وهو يشير إلى الجدار :

- لم يعد هناك .. إنه أول شيء بحثت عنه .

التفتت إلى حيث كان الباب ، ولكنها وجدت بدلاً منه كومة من الصخور الضخمة ، تسد المكان ، فغمغمت :

- يا إلهي ! .. لماذا فعلوا هذا ؟

أجابها في سرعة :

- من المؤكد أن لديهم أسبابهم .

ثم أشار إلى فجوة أخرى ، أعلى الجدار الأيسر :

- هذه هي دائرة التهوية والتنقية على الأرجح .

اتجها معاً إلى ذلك الجدار ، وقالت (سلوى) :

- ماذا لو أن هذه الدائرة ..

قبل أن تتم عبارتها ، انفتحت تحت أقدامهما بغتة فجوة جديدة ..

فجوة بدت وكأنها قد نشأت من العدم ، ومن تحتها ظهرت الحمم الملتهبة ، وصرخت (سلوى) .

- (نور) .. احترس ..

ولكن لم يكن هناك ما يمكنهما التشبث به ، فهويا إلى الأعماق ..

في قلب الحمم .

* * *



٥ - رحلة العـودة ..

كان كل شيء يبدو هادئا ، فى تلك الليلة ، حتى أن طاقم حراسة القاعدة الجوية لم يهتمّ كثيرًا بمتابعة مايدور حولها ، فى تلك المنطقة الصحراوية ، على مشارف (القاهرة) ، وراح رجاله يتسامرون ويتضاحكون ، أمام شاشات المراقبة ، حتى انتبه أحدهم فجأة إلى أزيز خافت ، يصدره أحد أجهزة المراقبة ، فاعتدل يتطلع إليه ، وهو يقول فى قلق :

- ماهذا بالضبط ؟

شاركه أحد زملائه التطلع إلى الشاشة ، وقال :

- عجبًا !.. يبدو وكأن أحدهم يعبر منطقة الأمن ، ولكن شاشات المراقبة لاتنقل شيئاً .

أجابه الرجل فى توتر :

- آلات التقاط الذبذبات تلتقط صوتاً ما ، من تحت الأرض ، كما لو أن دودة عملاقة تحفر الأرض ، وتتّجه إلى القاعدة .

ردّد زميله فى دهشة :

- دودة عملاقة ؟!

وتطلّع لحظة إلى جهاز التقاط الذبذبات ، قبل أن يقول فى حزم :

- استخدم جهاز الفحص .

استدار الرجل يتطلع ، عبر نافذة حجرته الزجاجية ، إلى بوّابة القاعدة ، ثم غمغم فى اهتمام :

- أعتقد أنه من الأفضل أن نفحص المكان بأنفسنا .

قالها وحمل مسدسه الليزرى ، ثم اتجه إلى خارج الحجرة ، وتبعه زميله ، وهو يقول محاولاً التخفيف من توتره :

- ربما هى ظاهرة طبيعية ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، برز أحد المخلوقات من الأرض فجأة أمامهما ، فتراجع زميله هاتفًا :

- أى عبث شيطانى هذا ؟

ورفع مسدسه الليزرى بسرعة ، ولكن طلقة أخرى أصابته من الخلف ، وسحقت عظامه كلها دفعة واحدة ، فصاح الآخر مذعوراً :

- يا إلهى !.. إنه هجوم .

كان هذا آخر مانطقه ، فى حياته كلها ، فقد أصابته طلقة أخرى ، سحقته بدوره ، وألقته جثة رخوة هامدة ..

وبرزت أربعة مخلوقات أخرى ، انطلقت نحو حجرة طاقم الحراسة ، الذين أطلقوا بوق الإنذار فى القاعدة ، وهم يسرعون لمواجهة المخلوقات الخمسة ، التى أطلقت أشعة بنادقها ، وراحت تسحق كل ماحولها بلارحمة ..



وفى تكتيك منظم ، استولت المخلوقات على الطائرات الخمس ، أمام أعين رجال القاعدة ..

وسقط رجال الأمن واحدا بعد الآخر ، واندفعت المخلوقات نحو ممرات الهبوط ، وراحت تطلق نيرانها على الممرات كلها ، وتنسف كل طائرة تقابلها ، فيما عدا خمس طائرات ..

وفى تكتيك منظم ، استولت المخلوقات على الطائرات الخمس ، أمام أعين رجال القاعدة ، الذين هتفوا فى غضب :

- هل سنكتفى بمراقبتهم هكذا ؟

أجابهم قائدهم فى غيظ :

- لم يعد لدينا مانفعله .. أسلحتهم قوية للغاية ، ولقد نسفوا وسحقوا كل شيء .. حتى مخزن الذخيرة .

هتف أحد الطيارين فى حنق :

- ولكنهم يستولون على طائرتى .

قال القائد فى حدة :

- وهل يمكنك منعهم ؟

قال فى حدة :

- يمكننى المحاولة على الأقل .

ثم استل مدفعه الليزرى ، وانطلق خارج المكان ، وتبعه زميل له ، وهو يقول فى حزم :

- دعنا نحاول معًا .

كانت المخلوقات الخمسة تستعد للانطلاق بالطائرات المتبقية ، عندما هاجم الطيّار وزميله إحدى هذه الطائرات ، وراحا يطلقان نحوها مسدسيهما ، وهتف أحدهما فى حدة :

ـ أطلق النار على خزان الوقود مباشرة ..إننى أفضل نسف الطائرة ، على استيلاء هؤلاء الممسوخ عليها .

أطلقا أشعتهما فى كثافة ، نحو خزان وقود إحدى الطائرات ، فى حين انطلقت الطائرات الأربع الأخرى على ممر الإقلاع ، وصاح الطيار :

ـ طلقة أخرى ونربح المعركة .

كانت الطائرة الخامسة تستعد للارتفاع ، عندما اشتعل خزان وقودها بغتة ، واندلعت النيران فى ذيلها ، وهتف الطيار فى ظفر :

ـ نجحنا .

ولكن الطائرة أقلعت بالفعل ، وهى تجر خلفها ذيل النيران ، والطيار يهتف فى حماس :

ـ هيا .. انفجرى .. هيا بالله عليك .

ودوى الانفجار ..

دوى فى سماء القاعدة ، بكل القوة والعنف ، وتحوّلت الطائرة إلى كتلة من اللهب ، تألقت فى السماء ، وأضاءت المكان كله ، وتطايرت شظاياها فى كل مكان ، واختلط

دوى انفجارها بصيحة الطيار ، وهو يصرخ :

ـ انتصرنا .

ولكن الطائرات الأربع الأخرى دارت حول نفسها ، وانقضت على القاعدة فى شراسة ..

كانت تثأر لزميلها الصريع ، فراحت تمطر القاعدة بالصواريخ ومدافع الليزر ، وتنسف كل جدار قائم فيها ..

وكانت مذبحة حقيقية ..

النيران اندلعت فى كل مكان ..

الطيار وكل زملائه لقوا مصرعهم ..

الدماء سالت أنهارًا ..

كل هذا حدث فى دقائق معدودة ، قبل أن تلتقى الطائرات الأربع فى السماء ، وتدور مع بعضها البعض دورة كاملة ، حول النيران المشتعلة ، وكأنها تؤبن زميلها الراحل ، ثم انطلقت كلها نحو هدف واحد ..

هدف تم تحديده منذ ملايين السنين ..

هدف قد يمنح تلك المخلوقات الأربعة قوة لا مثيل لها ..

قوة تكفى للسيطرة على الأرض ..

وإبادة حضارة كاملة ..

إبادتها تمامًا ..

* * *

توترت (مشيرة) فى شدة ، عندما بلغ (رمزى) من روايته ذلك الحد ، الذى سقط فيه (نور) و (سلوى) فى الفجوة الجديدة ، وسألته فى لهفة ، تحمل الكثير من الفضول الصحفى :

- يا إلهى! .. كيف نجا (نور) و (سلوى) إذن ؟

التقط (رمزى) نفساً عميقًا ، وألقى نظرة مشفقة على (نشوى) ، التى ظلت صامتة ، مغرورقة العينين بالدموع ، ثم تابع ، محاولاً جذب انتباهها بعيدًا عن مشكلتها :

- عندما روى لنا (نور) القصة ، ونحن داخل الفجوة ، ألقينا عليه السؤال نفسه ، وهو يبلغ هذا الحد ، ولكنه أجابنا إجابة أدهشتنا ، وجعلتنا ندرك أن الأعمار بيد الله (سبحانه وتعالى) وحده .

سألته (مشيرة) :

- هل نجوا بمعجزة ؟!

ابتسم مجيبًا :

- بل ببساطة متناهية .

رفعت (نشوى) عينيها إليه ، وهمست :

- ببساطة ؟!

أسعده أن نجح فى جذب انتباهها ، وتابع :

- نعم .. ببساطة مدهشة .

ثم اعتدل ، وراح يروى الجزء الباقى من القصة .. قصة رعب الأعماق ..

* * *

عندما هوى (نور) و (سلوى) داخل فجوة الحمم الثانية ، تصوّر الاثنان أنها النهاية لاريب ، ولكنهما ارتطما فجأة بشىء جامد صلب ، وتدحرجا فوقه لحظات ، ثم استقر جسداهما ، وهتفت (سلوى) :

- رباه ! .. إنه حاجز زجاجى .

كانت قاعدة زجاجية سميكة قوية ، وشفافة إلى حد مذهل ، حتى أنهما لم ينتبها إلى وجودها ، حتى سقطا فوقها ، ومن موقعهما ، بدت الحمم أسفلهما واضحة ، وبدا أمامهما ممر يمتد إلى مسافة طويلة ، وتتألق فيه مصابيح وردية عديدة ، فهمست (سلوى) :

- لقد نجونا يا (نور) .

أجابها فى حماس :

- وعثرنا على المخرج .

أمسك يدها ، واتجها إلى الممر ، الذى يمتد تحت الأرض ، وترتفع على جانبيه جدران ملساء سميكة ، وغمغم (نور) :

- من الواضح أنه ممر سرى خاص ، يقود إلى شيء بالغ الأهمية ، ولقد أشعلنا الجهاز الذى يفتحه ، دون أن تدرى .

قالت (سلوى) :

- المهم ما الذى يقودنا إليه ؟

قال فى اهتمام ، وهو يشير إلى باب فى نهاية الممر :

- سيأتينا الجواب بعد قليل .

بلغا الباب بعد لحظات ، وراح (نور) يتحسسه بيده ، قائلاً :

- إنه ليس مجرّد باب عادى .. إنه يعمل بوساطة رتاج إليكترونى خاص على الأرجح .

قالت فى اهتمام :

- دعنى أفحصه .

انحنت تفحص الباب ، ثم قالت :

- أنت على حق .. إنه رتاج عجيب ، لم أر مثيلاً له من قبل ، ولكن من الواضح أنه يعتمد على الذبذبات الصوتية أيضاً .

ثم ضغطت أحد أزرار ساعتها ، مستطردة :

- يمكننا أن نحاول .

راحت ساعتها تطلق تلك الترددات المتغيرة ، حتى صدرت تكة خافتة من الرتاج ، وتحرّك الباب فى بطء ..

وفجأة وثب شخص مانحو (سلوى) ، التى أطلقت صرخة مدوية ، وتراجعت فى هلع ، فانقضّ (نور) بدوره على هذا الشخص ، ولوى معصمه خلف ظهره ، وهو يقول :

- لن أسمح لك بـ ..

ثم بتر عبارته فجأة ، وهتف :

- (رمزى) ؟! .. يالها من مفاجأة !

هتف (رمزى) بدوره :

- (نور) ؟ .. (سلوى) ؟ .. من المؤكد أن هذه الفجوة هى أرض المصادفات ، فكلنا نلتقى على نحو عجيب .

ردّد (نور) :

- كلنا ؟

برز (محمود) ، وهو يهتف :

- نعم يا (نور) .. كلنا .

تبادل الجميع التحية فى سعادة ، وسأل (نور) (رمزى) :

- ولكن كيف وصلتم إلى هنا ؟

أجابه (رمزى) :

- لقد أسرنى أحد المخلوقات ، داخل قاعة يستخدمونها كمعبد وثنى ، وأطلقوا مخلوقاً رهيباً لالتهامى ، ولكن (محمود) وصل فى اللحظة المناسبة ، وقتل

ذلك المخلوق ، ثم فحص قيودى ، وخلصنى منها بالضغط على جزء من القاعدة ، التى قيدونى إليها ، وعندما ثار البركان مرة ثانية ، تصوّرنا أن الحمم ستلتهمنا بلارحمة ، ولكننا كشفنا أن هؤلاء الفضائيين قد صنعوا وكرهم بذكاء شديد ، بحيث تعزل تلك الأبواب الخضراء العجيبة المناطق الهامة تمامًا ، عن خط سير الحمم ، التى لم تلبث أن تراجعت ، وانفتحت الأبواب مرة أخرى ، فتجولنا أنا و (محمود) فى المكان ، بحثًا عن مخرج آخر ، حتى وجدنا أنفسنا هنا .

قال (نور) فى ارتياح :

ـ كم يسعدنى أننا جميعًا على قيد الحياة .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ ولكن ألم تنتبهوا إلى أن تلك المخلوقات قد غادرت المكان ، ولم يعد لها أدنى أثر هنا .

قال (محمود) :

ـ هذا صحيح .. إننا لم نلتق بأى منهم ، طوال الطريق إلى هنا .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكننا نعلم السبب تقريبًا .

وأشار إلى القاعة ، التى جاء منها مع (رمزى) ، وهو يقول :

ـ انظر يا (نور) .

عبر الجميع الباب المفتوح ، واتسعت عيون (نور) و (سلوى) ، أمام ذلك المشهد .. كانت هناك عشر طائرات بيضاوية الشكل ، تصطف داخل القاعة الضخمة ، التى تعرّضت لانهيار عنيف ، فهوت كتل هائلة من الصخور من سقفها ، وسحقت كل الطائرات تقريبًا ..

وقال (نور) مبهوتًا :

ـ يا إلهى! .. إذن فقد فقدوا طائراتهم ، وخرجوا للبحث عن وسيلة طيران أخرى :

هتفت (سلوى) :

ـ ولكن لماذا ؟ .. لماذا يحتاجون إلى الطائرات ؟

أشار (رمزى) إلى خريطة كبيرة ، تحتل أحد جدران القاعة ، وهو يقول :

ـ هذا هو الجواب .

كانت الخريطة تحمل علامة واضحة كبيرة ، فى المنطقة التى يحتلها جبل المقطم الآن ، فقالت (سلوى) :

ـ ما هذا بالضبط ؟

ضغط (رمزى) أزرار شاشة صغيرة ، وهو يقول :

ـ من حسن الحظ أن هذا الجهاز مايزال يعمل ، ولم يتلفه الانهيار .

مع ضغطة الزر ارتسمت على الشاشة صور مهتزة ، مع صوت شبيه بالفحيح ، يحمل ما يشبه تعليمات القتال ، بالنسبة للفرسان العشرة ، إذا ما عادوا إلى وعيهم بعد الفترة المحدودة ، ووجدوا حضارة أخرى على كوكب الأرض ..

وعلى الرغم من أن اللغة لم تكن معروفة قط فى عالمنا ، إلا أن الصور التى ارتسمت على الشاشة كانت أكثر وضوحا مما ينبغى ..

وكانت تصف الخطة ..

لقد وضع هذا الشعب أقوى وأكثر أسلحته فتكـا وتدميرا ، فى مخبأ سرى آخر ، فى قاع جبل المقطم الحالى ، ولو بلغت تلك المخلوقات ذلك المخبأ الثانى ، واستعادت ذلك السلاح ، فلن تتمكن قوة فى الأرض من التصدى لهم ..

ومع استعراض إمكانات هذا السلاح الرهيب ، اتسعت عيون الجميع فى هلع ..

كان بالفعل كارثة على الأرض كلها ..

وفى توتر بالغ ، قال (نور) :

ـ لابد أن نبذل قصارى جهدنا للخروج من هنـا يارفاق .. لابد أن نلحق بتلك المخلوقات ، قبل أن تبلغ ذلك السلاح ، ويضيع كل شىء .

قالت (سلوى) :

ـ ولكن كيف نخرج من هنا ؟

اتجه إلى خريطة أخرى ، وقال :

ـ هذه الخريطة تشير إلى خطوط الحركة ، داخل ذلك المقر ، ولو اتبعنا هذه الطرق ، فستقودنا حتمًا إلى الفجوة .

قال (رمزى) فى حماس :

ـ هيا بنا إذن .

إتجهوا إلى المخرج الثانى ، الذى جاء منه (رمزى) و (محمود) ، وقد امتلأت عروقهم بمزيج من القلق والحماس ، والرغبة فى بلوغ سطح الأرض ، قبل أن تحصل تلك المخلوقات على سلاحها الرهيب ، ولكن فجأة ، هتف (نور) :

ـ رباه !.. إنها معجزة !

التفت الجميع إلى حيث ينظر ، واتسعت عيونهم فى دهشة ..

كانت أمامهم طائـرة سليمـة من تلك الطائـرات البيضاوية ، وسط كل الطائرات المحطمة ، وكأن الصخور قد تفادتها بالذات ..

وقال (محمود) مبهورًا :

ـ إنها معجزة بحق .

اتجه (نور) إلى الطائرة ، وهو يقول :
ـ ترى هل يمكننا قيادتها ؟
قال (رمزى) :
ـ لن يكون هذا سهلاً ، فهى من كوكب آخر .
صعد (نور) إلى الطائرة ، وهو يقول :
ـ يمكننا أن نحاول على الأقل .
تطلّعت (سلوى) إلى ساعتها ، وقالت :
ـ سيستغرق هذا وقتاً يا (نور) .
أجابها (نور) :
ـ اذهبوا أنتم ، عبر الطرق التى تحددها الخريطة ، وسأبقى أنا لفحص هذه الطائرة ، ثم ألحق بكم .
غمغم (رمزى) :
ـ سأبقى معك .
وعند هذه النقطة انقسم الفريق إلى قسمين ، يسعى كل منهما إلى هدف واحد ..
إنقاذ الأرض ..
إنقاذها من غزو جديد ..

* * *



كانت أمامهم طائرة سليمة من تلك الطائرات البيضاوية ، وسط كل الطائرات المحطمة ..

حدقت (نشوى) فى وجه (رمزى) فى دهشة ، عندما انتهى من روايته ، واستطرد :

- وهكذا وصلنا فى الوقت المناسب ، بعد أن نجح (نور) فى كشف طريقة قيادة تلك الطائرة ، لتنقذ حياتك يا (نشوى) .

هتفت (نشوى) :

- حياتى أنا ؟!.. وماذا عن مصير الأرض كلها يا (رمزى) ؟

أجاب فى خفوت :

- كل منا سيتولى العمل المنوط به .

بلغوا فى تلك اللحظة موقع القاعدة العسكرية ، وهتفت (مشيرة) :

- انظروا .. لقد تعرَّضت هذه القاعدة لهجوم ساحق .. لقد أبيدت عن آخرها .

اتسعت عيون (رمزى) و (نشوى) فى هلع ، وهتف (رمزى) :

- هذا يعنى ضرورة أن نتحرك فى سرعة .

ولكن (مشيرة) التقطت آلة التصوير الهولوجرافى ، ووثبت خارج السيارة ، وراحت تلتقط الصور للقاعدة المحطمة ، والنيران المشتعلة فى قلبها ، وصاح بها (رمزى) :

- لاوقت لهذا .

أجابته فى حدة :

- لن أضيع فرصة كهذه .

زفر فى حنق ، وقال :

- لن يمكننى احتمال أسلوبها أبدًا .

قالت (نشوى) فى قلق :

- أتعنى هذا حقًا ؟

أدهشه صوتها ، فالتفت إليها ، واتسعت عيناه فى ذعر وذهول ..

لقد انخفض عمر (نشوى) مرة أخرى ..

انخفض عامين على الأقل ..

فى عكس اتجاه الزمن .

* * *



٦ ـ مســألة وقــت ..

أجهشت (سلوى) بالبكاء ، فور انطلاق سيارة (مشيرة) ، وقالت :

ـ بنتنا يا (نور) .. ابنتنا تنهار .

عضّ شفتيه قهرًا ، وهو يقول :

ـ وكذلك عالمنا يا (سلوى) .

كان يفعل شيئاً يخالف الطبيعة البشرية ، وهو يقاوم حزنه وألمه من أجل ابنته ، ليفكّر فى الأرض ومصيرها ، ويسعى لإنقاذها ..

ولكن هذا ماتعلّمه ..

وما يفرضه عليه موقعه ..

إنه مسئول عن سلامة كوكب بأكمله ..

عن أمنه ..

وحريته ..

وابنته جزء من هذا العالم ..

وطيلة عمره ، كان يتعلّم أنه من الحماقة التضحية بالكل ، فى سبيل الجزء لأن هذا سيعنى ضياع الكل والجزء فى آن واحد ..

ثم أنه لم يضحّ بابنته ..

لقد أسند مهمة إنقاذها إلى (رمزى) ..

أما هو فسيتولى مهمة إنقاذ عالمه كله ..

وفى حزم ، كتم مشاعره وأحزانه فى أعماقه ، وقال لـ (سلوى) و (محمود) :

ـ هناك سيارة بقيت سليمة ، وسط هذه المذبحة .. خذ (سلوى) معك يا (محمود) ، وانطلق بها حتى القيادة ، وانقل إليهم ماتوصلنا إليه ، واطلب منهم إرسال جيش كامل إلى المقطم ، للحيلولة دون وصول هؤلاء الفضائيين إلى سلاحهم الرهيب .

سأله (محمود) :

ـ وماذا عنك ؟

أجابه (نور) ، وهو يتجه إلى الطائرة البيضاوية :

ـ سأتخذ الطريق الجوى .

هتفت (سلوى) :

ـ وابنتنا يا (نور) ؟

التفت إليها ، وهو يبذل أقصى طاقة لكتمان مشاعره ، وقال :

ـ اطمئنى يا (سلوى) .. اطمئنى .

لم تكن عبارته تحمل شيئاً محدوداً ، ولكنه لم يكن يملك سواها ، لذا فقد ألقاها ووثب إلى الطائرة ، وأشعل محركاتها ، وانطلق بها مبتعدًا ، وعيناه تقاومان دموعهما بشدة ..

مسكينة هي ابنته ..

مسكينة (نشوى) ..

استعاد في سرعة ذكريات كل ما مَرّت به من أحداث ، وتمتم :

- لم تكن حياتها طبيعية أبداً .

ارتجف قلبه بين ضلوعه ، وراحت يد باردة تعتصره في قوة ، حتى عجزت دموع عينيه عن البقاء ، فسالت على وجنتيه ، وهو يضمّ شفتيه في حزم ..

وتمنى لحظتها أن يربح هذه المعركة ..

تمنى هذا كما لم يتمنّه من قبل ..

تمناه هذه المرة؛ لأن النصر سيمنحه فرصة لإنقاذ ابنته ..

فرصة أخيرة ..

ومع تلك الدموع ، التي تخنق عينيه ، وتضع أمامهما سحابة مهتزة ، زاد من سرعة الطائرة ، وهو يقترب من القاعدة الجوية ..

وفجأة ، وفي صورة مهتزة ، وقع بصره على القاعدة ..

أو بقايا القاعدة ..

وهتف في ارتياع :

- يا إلهي ؟.. لقد فعلوها .

ومن بعيد ، لاحت له الطائرات الأربع ، وهي تنطلق نحو المقطم ، فمال بطائرته البيضاوية ، وانطلق خلفها ، وهو يقول :

- لابد من اللحاق بهم .. لابد .

انطلق في أثر الطائرات الأربع ، التي اقتربت كثيرًا من المقطم ، ورأى إحدى الطائرات تنفصل عن الأخريات ، وتستدير إليه لتواجهه ..

وفهم الموقف على الفور ..

إنهم سيضيعون وقته في القتال مع هذه الطائرة ، حتى يمكنهم بلوغ هدفهم ..

وفي مهارة ، انحرف بالطائرة ، وتفادى تلك التي تنقضّ عليه ، ليواصل مطاردته للطائرات الأخرى ..

ولكن الطائرة انقضت عليه في شراسة ..

وأطلقت مدفعيها ..

وفي اللحظة الأخيرة ، وبمناورة معقّدة ، نجح (نور) في تفادي حزمتي الأشعة ، اللتين انطلقتا نحوه ، وتمتم :

- إذن فلا مفرّ من القتال .

ولكن فجأة ، وفي هذه اللحظة فقط ، انتبه إلى طائرة أخرى ، انفصلت عن زميلتيها ، ودارت حوله ، ثم انقضت عليه من الخلف ..

ووقع (نور) فى الفخ ..
وقع بين شقى الرحى ..

★ ★ ★

صاح الدكتور (حاتم) فى حنق، وهو يشير إلى (نشوى)، التى بدت كمراهقة فى الخامسة عشرة من عمرها فحسب :

ـ هل رأيت ما فعله عنادك ؟.. إنك تخسرين عمرك بهذا .

قالت (نشوى) بصوت خافت متوتر :

ـ كان من المحتم أن أذهب .

صاح بها :

ـ هذا عبث طفولى، حتى ولو ضايقتك العبارة .

خفضت عينيها فى ألم، وسالت الدموع منهما مرة أخرى، فاحتضنتها (مشيرة) فى حنان، وهى تقول :

ـ فليكن يا دكتور (حاتم) .. ما حدث قد حدث .. المهم الآن أن ننقذ ما تبقى .

لوّح بذراعيه، وقال :

ـ سنحتاج إلى البدء من جديد، فالجرعة التى تم حقنها بها، من عقار النمو الجديد، كانت جرعة اختبارية فحسب، ومن الواضح أنها لم تكن كافية .

سأله الدكتور (حجازى) فجأة :

ـ ولكن هل ينخفض عمرها فحسب ؟

التفت إليه الدكتور (حاتم)، وسأله :

ـ ما الذى تعنيه ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ أعنى أنه عندما نمت فجأة، عمل هؤلاء الذين جعلوها تنمو صناعيًا، على رفع درجة كفاءة عقلها أيضاً، بحيث صار متناسبًا مع عمرها .. بل صار فى الواقع أكثر تفوقًا، والآن مع انخفاض عمرها، هل بقى عقلها كما كان، أم ....؟

لم يكن يحتاج فعليًا إلى إتمام سؤاله، فقد فهمه الجميع، وأدركوا ما يعنيه، وبدت علامات التفكير العميق على وجوههم، ثم التفت الدكتور (حاتم) إلى (نشوى)، وسألها :

ـ كنت تعملين كخبيرة كمبيوتر .. أليس كذلك ؟

ترددت (نشوى) لحظة، قبل أن تجيب :

ـ بلى .. كان هذا فيما مضى .

جذبها من يدها إلى مكتبه، وأجلسها أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به، وهو يقول :

ـ حسن .. دعينا نختبر هذا .

ثم أشعل جهاز الكمبيوتر بلمسة خفيفة ، وقال :

- هذا البرنامج ، الذى ترينه أمامك على الشاشة ، يحتاج إلى تعديل جوهرى ، فهو مسئول عن مراجعة كل الحالات ، التى يتمّ علاجها هنا ، وتصنيفها طبقًا لنوع المرض وحدّته ، ولكننى أريد تبديل هذا التصنيف ، بحيث يعتمد على عمر المريض ومدة علاجه ، هل يمكنك إجراء هذا التعديل ؟

أجابته على الفور :

- بالطبع ..إنه تعديل بسيط .

ومدّت أصابعها إلى أزرار الكمبيوتر ، ثم توقّفت بغتة ، والتقى حاجباها فى تفكير عميق ، ثم أعادت أصابعها إلى جوارها ، وهى تحدّق فى الشاشة بتوتر بالغ ، فسألها (رمزى) :

- ماذا هناك ؟

هزّت رأسها فى ارتياع ، وقالت :

- لست أدرى ..فى البداية بدا الأمر بسيطًا وعاديًا ، ولكن فجأة لم أعد أذكر شيئاً .. كل شىء تبخّر من عقلى .. المعادلات .. الأسلوب .. المصطلحات .. كل شىء .

تبادل الدكتور (حجازى) والدكتور (حاتم) نظرة شديدة القلق ، فى حين قال (رمزى) ، وهو يحاول تهدئتها :

- إنه نسيان نفسى على الأرجح .

تطلّعت إليه مرتدّة فى دهشة :

- نسيان نفسى ؟!

أجابها بصوت هادئ عميق ، وهو يتطلّع إلى عينيها مباشرة :

- نعم .. نسيان نفسى .. عقلك الباطن يذكر كل شىء ، بدليل أنك أعطيت انطباعًا مباشرًا واضحاً ، عندما ألقيت النظرة الأولى على البرنامج ، وقلت : إن التعديل أمر بسيط ، مما يعنى أنك قد فهمت كل شىء فى لحظة واحدة .. المعادلات ، والمصطلحات ، والأسلوب .. ولكن عندما وضعت أصابعك على لوحة الأرقام ، وبدأت العمل الفعلى ، استعاد عقلك الواعى حديث الدكتور (حجازى) ، وقلقه من انخفاض قدراتك العقلية ، مع انخفاض عمرك ، وامتزج هذا بتوترك الشديد ، مما يحدث لك ، وتصوّرت أنك غير قادرة على فهم ما أمامك .

قالت فى توتر :

- ولكننى لا أفهمه بالفعل .

بدا صوته أكثر هدوءًا وعمقًا ، وهو يقول :

- بل تفهمينه .

تطلّعت إلى عينيه مباشرة ، وخُيّل إليها أنهما تتسعان وتتسعان ، وأنها تغوص فى أعماقهما فى بطء ، وصوت (رمزى) العميق يردّد :

- إنك تفهمينه .. فقط حاولى .. حاولى ..

شعرت وكأنها تسبح فى بحر هادئ عميق ، وسط موسيقى حالمة ، وجسدها يتماوج مع اللحن الانسيابى الناعم ، وفيض من المعلومات يتدفق فى عقلها ..

معادلات ..

مصطلحات ..

أســرار ..

وبصوت خافت ، رددت :

- نعم .. أفهمه .

ولكن فجأة لم يعد ذلك البحر هادئًا ..

لقد تلاطمت أمواجه ، وتحوّلت موسيقاه الحالمة إلى إيقاع صاخب رهيب ..

ثم ظهر ذلك الوجه ..

وجه أخضر ، له رأس أصلع ، وحراشيف لامعة ، وعيون مضيئة ..

وسط الإيقاع الصاخب ، بدأت الرسالة ..

رسالة بلغة لامثيل لها على الأرض ..

ولكنها فهمتها ..

لم تدر كيف فعلت ..

ولكنها فهمت ..

وارتسم على وجهها الذعر ..

ذعر هائل رهيب ، جعل صوت (مشيرة) يرتجف ، وهى تسأل :

- ماذا أصابها ؟

تراجع (رمزى) ، وهو يقول :

- لست أدرى .. كان كل شىء يسير على مايرام .

ثم عاد يميل نحو (نشوى) ، وطرقع سبابته وإبهامه أمام عينيها ، قائلاً :

- هيا .. استيقظى يا (نشوى) .. استيقظى .

ولكن (نشوى) لم تستجب ..

وعلى وجهها تحوّل الذعر إلى رعب هائل ..

رعب بلا حدود .

* * *

« زوجـة الرائـد (نور الديـن) تطلب مقابلـتك ياسيّدى .. » .

تلقى القائد الأعلى هذا النداء فى دهشة ، فهبّ من مقعده ، هاتفًا :

- (سلوى) ؟! .. هل عادت من الفجوة ؟

هتف الدكتور (ناظم) بدوره :

- مستحيل !

ولكن القائد الأعلى قال في توتر :

- دعها تدخل على الفور .

انفتح باب حجرة مكتبه ، ودخلت (سلوى) بزيها الفضائي ، ودون خوذتها ، وهي تقول :

- سيدي .. الأرض في خطر .

أشار إليها القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يقول :

- اجلسي .. اجلسي أولا يابنيتي ، وقصي كل مالديك .

وسألها الدكتور (ناظم) في لهفة :

- هل نجوت وحدك من الفجوة ؟

أجابته في توتر :

- بل نجونا كلنا يادكتور (ناظم) ، ولكن ليس هذا هو المهم الآن .. فهناك عدد من مخلوقات كوكب آخر ، يسعون للسيطرة على الأرض .

قال القائد الأعلى :

- أخبرينا كل مالديك يابنيتي .

قصت عليه أمر ذلك السلاح السري الرهيب ، الذي تسعى المخلوقات للوصول إليه ، في قلب جبل المقطم ، واستمع إليها القائد الأعلى في توتر بالغ ، قبل أن يقول :

- ياإلهي ! .. أتعشم أن نصل في الوقت المناسب .

ثم ضغط أزرار مكتبه ، وراح يلقي أوامره لفرق الطوارئ في حين سأل الدكتور (ناظم) (سلوى) :

- أين رفاقك ؟

أجابته في تهالك :

- (نور) يطارد المخلوقات ، و (رمزي) يحاول إنقاذ (نشوى) ، أما (محمود) ، فيشعل جهاز التفجير ، لنسف الفجوة كلها .

هتف الدكتور (ناظم) :

- وحده ؟! .. لن يمكنه هذا أبدًا .. سيطيح به الانفجار ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، تألقت شاشة الراصد المجاور ، وأعلنت حدوث انفجار ذري محدود ، في الصحراء الغربية ..

وفي موقع الفجوة بالضبط ..

* * *

لم يكن القرار سهلًا ..

بل لم يكن ممكنًا تقريبًا ..

لقد حاصرت الطائرتان (نور) ، في تكتيك مدروس ، وأوقعتاه في فخ محكم ، ثم انقضتا عليه في آن واحد ..

ولكن (نور) لم يستسلم ..

لم يكن من السهل أبدًا أن يفعل ..

لقد اعتاد أن يقاتل دائمًا حتى آخر رمق ..



والقضت عليه إحدى المقاتلتين ، ولكنه أطلق أشعة طائرته عليها ، فى نفس اللحظة التى أطلقت هى أشعتها نحوه ..

وفجأة أوقف (نور) محركات طائرته ، وتركها تهوى ..

ومع تلك المبادرة المباغتة ، خرجت الطائرة من مرمى نيران المقاتلتين ، ثم أشعل المحُرك مرة أخرى ، وارتفع ليواجه المقاتلتين مرة ثانية ..

وانقضت عليه إحدى المقاتلتين ، ولكنه أطلق أشعة طائرته عليها ، فى نفس اللحظة التى أطلقت هى أشعتها نحوه ..

وأصابت أشعة (نور) جناح الطائرة ، فى حين أصابت أشعة المقاتلة باطن طائرته ..

ومالت المقاتلة فى عنف ، فى حين ارتفعت فرقعة شديدة من باطن طائرة (نور) ، وارتجفت فى شدة ..

أما المقاتلة التى أصيبت ، فقد انحرفت بحركة حادة ، ومالت إلى أسفل ، وهوت بسرعة مدهشة ..

ورأى (نور) المخلوق الذى يقودها ، وهو ينطلق بمقعده خارجها ، ثم يهبط بمظلته ، ثم رأى المقاتلة الثانية تنقضّ عليه ، فاستدار ليواجهها ، ولكنها أطلقت أشعتها نحوه أوّلًا ، وشعر بطائرته ترتجف فى عنف ، ثم فقدت توازنها ، وراحت تهوى فى سرعة ..

وضغط (نور) زر إطلاق مقعد القيادة ، لينجو بنفسه من الطائرة الساقطة ..

ولكن الزر لم يؤد عمله ..

ولم ينطلق مقعد القيادة ..

وأمام عينى (نور) ، راح جبل المقطم يقترب بسرعة مخيفة ..

والطائرة تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

* * *



٧ ـ الانفجار ..

فحص (محمود) أجهزة التفجير فى عناية ، ثم التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

ـ عظيم .. ضغطة زر واحدة ستشعل جهاز التفجير ، ويكون أمامى ربع الساعة للابتعاد عن هنا ، قبل الانفجار .

عاد يدرس الأرقام والاستعدادات مرة أخرى ، ثم استطرد :

ـ هذه القنبلة محدودة التأثير ، ونشاطها الإشعاعى لن يتجاوز الفجوة ، وسيقلل الانهيار من تأثيره أكثر وأكثر .. من حسن الحظ أنهم توصلوا إلى تلك القنابل الذرية ، ذات النشاط الإشعاعى المحدود ، فالتلوث النووى بلغ حدًا مقلقًا ، حتى أنه لايحتمل المزيد .

تلفت حوله ، بحثًا عن وسيلة للابتعاد عن موقع التفجير ، فى الوقت المناسب ، ثم وقع بصره على عدد من السيارات ، اصطدم بعضها بالبعض ، فاتجه إليها ، وراح يدير محركاتها ، واحدًا بعد الآخر ، حتى اشتعل محرك إحداها ، فتنفس الصعداء ، وقال :

ـ حمدًا لله .. هناك وسيلة للفرار من هنا .

اتجه إلى جهاز التفجير ، وتردد لحظة ، ثم حسم أمره ، وقال :

ـ فليكن .. سأبدأ على بركة الله .

وضغط زر التفجير ، ورأى شاشة الجهاز تحدد الزمن المتبقى قبل التفجير ، ثم راحت تختصر الوقت فى عد تنازلى رتيب ، فأسرع هو نحو السيارة ، وقفز داخلها ، مغمغمًا :

ـ المفروض أن أبتعد لمسافة أربعة كيلومترات على الأقل ، حتى يمكننى الابتعاد عن مجال التفجير .. من حسن الحظ أيضاً أن التفجير سيتمّ فى أعماق الفجوة ، وإلا كان من الضرورى أن أبتعد مائة كيلومتر على الأقل .

انطلق بالسيارة فوق الرمال ، مبتعدًا عن موقع التفجير ، وعيناه تطالعان عداد المسافة ، ليطمئن إلى تجاوز نطاق الخطر ، وردد فى توتر :

ـ كيلومتران فحسب ، وأتجاوز منطقة الخطر ، و ..

وفجأة أطلق المحرّك فرقعة مخيفة ، ووثبت السيارة فوق الرمال على نحو بالغ الخطورة ، وصرخ (محمود) :

ـ ماذا أصاب تلك اللعينة ؟

انطلقت فرقعة أخرى أكثر عنفًا ، ثم توقف المحرّك دفعة واحدة ، وقفزت السيارة قفزة عنيفة إلى الأمام ، ثم انقلبت فى عنف ، وتدحرجت مرة واحدة فوق الرمال ،

قبل أن تستقر مقلوبة رأسًا على عقب ، و (محمود) داخلها ، وقد انحشر جسده بين المقعد وعجلة القيادة ..

وفى صعوبة ، راح (محمود) يدفع جسده خارج السيارة ، وهو يشعر بآلام شديدة فى صدره وظهره ، وزحف أسفل السيارة ، وخيط من الدماء يتبعه ، حتى غادر السيارة ، وهو يلهث فى شدة ، وارتمى على الرمال الساخنة ، وجرح فى رأسه ينزف فى بطء ..

ثم تطلّع إلى ساعته ..

وانتفض قلبه ذعرًا ..

لم يعد أمامه سوى تسع دقائق فقط قبل الانفجار ..

ولقد فقد السيارة ..

وفى توتر بالغ ، نهض (محمود) ، وهو يتمتم :

ـ تُرى هل يمكن أن أنجح ؟.. أذكر أن سرعة سير الإنسان العادى هى ستة كيلومترات فى الساعة(*) ، وهذا يعنى كيلومتر واحد كل عشر دقائق ، فكم تبلغ سرعة العدو فوق الرمال ؟

قالها وانطلق يعدو فوق الرمال ، مبتعدًا عن مركز الانفجار ..

(*) حقيقة علمية .

كانت الآلام تنتشر في جسده كله ، والدماء تنزف من جرح رأسه ، ولكن غريزة البقاء في أعماقه كانت تمنحه قوة إضافية ، وهو يعدو ، على الرغم من صعوبة العدو فوق الرمال ..

وأخذ (محمود) يلهث في شدة ، وأنفاسه تتلاحق على نحو يؤلم صدره وذراعيه ، ولكنه لم يتوقف عن العدو ، والوقت يتناقص في سرعة ، كما لو أن الزمن قد أصيب بشراهة مباغتة ، فراح يلتهم الدقائق أسرع من المعتاد ..

وهتف (محمود) :

ـ ترى هل تجاوزت الـ ...

وقبل أن يتم عبارته دوى الانفجار ..

ولم يعد هناك ما يقال ..

* * *

تحركت أصابع (نور) في توتر ، وهو يضغط زر إطلاق مقعد القيادة عدة مرات ، هاتفًا :

ـ هيا .. انطلق .. لن تضيع الأرض بسبب عطل تافه كهذا .

لم يكد يتم قوله حتى استجاب له الزر كما لو أنه يشعر أيضًا بالقلق على مصير كوكب الأرض ..

وفجأة ، وجد (نور) نفسه ينطلق خارج الطائرة البيضاوية ..

ولكن بدون مظلة ..

لم تكن تلك الطائرات تستخدم مظلة ، وإنما كرة شفافة عجيبة ، انطلقت من أسفل المقعد ، وأحاطت به إحاطة تامة ، ثم راحت تهبط في بطء ..

وتمتم (نور) :

ـ حمدًا لله .. صحيح أن الهبوط يختلف ، ولكنه آمن على أية حال .

ومن مكانه ، رأى الطائرات الثلاث تهبط وسط أحد الطرق ، على قمة المقطم ، ورأى المخلوقات الثلاثة تغادرها ، وينضمّ إليها المخلوق الرابع ، الذي هبط بالمظلة ، ثم يتجه الأربعة نحو واحدة من الفيلات الأنيقة ، المقامة على هضبة المقطم ..

ومع هبوطه ، رآهم (نور) يقتحمون الفيلا ببنادقهم الأسطوانية ، وينسفون جدرانها وسقفها ، ويقتلون سكانها بلا رحمة ، فهتف :

ـ هذه الفيلا تسد المدخل إلى مخبأ سلاحهم الرهيب .

شعر بالحنق لبطء الهبوط ، وتمنى لو أمكنه الوصول بسرعة ، ليحاول منع هذه المخلوقات من بلوغ سلاحها الرهيب ، ولكن المقعد واصل هبوطه بنفس البطء ،

حتى بلغ الهضبة ، وعندئذ تلاشت الكرة الشفافة من حوله ، وكأنها لم توجد قط ، وحلّ (نور) حزام مقعده ، ثم اندفع نحو الڤيلا ، التى تحولت فى لحظات إلى حطام ، ورأى جثث ساكنيها ، وقد تحولت إلى أجساد رخوة محطمة ، وهتف فى سخط :

– لابد من منعهم .. لابد .

وراح يزيل الحطام فى عصبية ، حتى يشق طريقه إلى الجدار الجبلى ، الملاصق للڤيلا ، ولم يكد يرفع بابًا متهالكًا ، حتى توقف مبهوتًا ..

كان الجزء المواجه له تمامًا هو الجدار الجبلى ، وقد انهار جزء منه ، وبدت خلفه فجوة كبيرة ، يسدها باب عجيب آخر ، يتألق ببريق أخضر ..

وقال (نور) فى عصبية :

– (محمود) لم ينجح فى عبور ذلك الباب فى سلام ، دون خوذته الواقية ..

ولكنه لم يلق مصرعه أيضًا .. صحيح أن هذا الباب أكبر حجمًا ، ولكننى أعتقد أن التأثير لن يختلف ، مع اختلاف الحجم .

تحسس المسدس الليزرى ، الذى حصل عليه من (محمود) ، وأدرك أنه سلاحه الوحيد فى مواجهة الغزاة الأربعة ، وأمله الوحيد فى إنقاذ الأرض من مصير مظلم

آخر ، ثم تراجع بضع خطوات ، وهم بالاندفاع نحو الباب العجيب ، عندما سمع فجأة تلك الحركة الخافتة خلفه ، فالتفت إلى مصدرها فى سرعة ، ولكن قبل أن يسحب مسدسه الليزرى ، رأى أمامه ذلك المخلوق ، الذى بقى لحراسة المكان ، والذى صوّب إليه بندقيته ، و ...

وأطلق الأشعة ..

* * *

ارتسم الرعب بأبشع صوره على وجه (نشوى) ، وراح جسدها يرتجف فى قوة ، وهتف بها (رمزى) ، وهو يمسك كتفيها :

– استيقظى يا (نشوى) .. استيقظى .

صاح به الدكتور (حاتم) :

– ما الذى فعلته بها بالله عليك ؟

أجابه (رمزى) متوترًا :

– إنها جلسة تنويم مغنطيسى فحسب .. أردت تحرير عقلها الباطن من سيطرة الخوف والقلق .

صاح به الدكتور (حاتم) فى غضب :

– وهل حرّرتها هكذا ؟

هتف (رمزى) :

– ما يحدث غير طبيعى .. لقد أصيبت بانهيار عصبى ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وحدق فى وجهها لحظة ، قبل أن يتابع :

- أو أن التنويم المغنطيسى قد أيقظ فى عقلها شيئا ما .

سألته (مشيرة) فى قلق :

- ماذا تعنى ؟

أجاب الدكتور (حجازى) :

- إننى أفهم ما يقصده يا (مشيرة) ، فعندما لقن سادة الأعماق عقل (نشوى) علوم الأرض ، ورفعوا درجة ذكائها ، غرسوا فيها أيضًا نوعًا من السيطرة العقلية ، جعلها تهاجم والدها دون أن تدرى(*) ، و (رمزى) يخشى ألا يكون هذا هو الشىء الوحيد ، الذى غرسوه فى عقلها ، فى تلك الفترة .

قالت (مشيرة) فى اضطراب :

- ولكن هذا كان منذ خمس سنوات !

أجابها (رمزى) فى توتر :

- الرسائل العقلية يمكن أن تبقى مدى الحياة .

وفجأة ، انتفضت (نشوى) ..

انتفضت فى قوة ، ثم حدقت فى الجميع بذهول تام ، فتطلعوا إليها بدورهم ، واقترب منها الدكتور (حجازى) فى حذر ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (المحيط الملتهب) .. المغامرة رقم (٦٣) .

- (نشوى) .. هل ..

أدارت عينيها إليه بحركة حادة ، جعلته يتراجع بسرعة ، ثم لم تلبث أن فركت عينيها بكفيها ، وقالت :

- أين أنا ؟

أجابها (رمزى) فى خفوت حذر :

- أنت هنا يا (نشوى) .. بيننا .. لاتخشى شيئا .. كل الأمور ستسير على مايرام ، ولن يحدث أدنى خلل ، ولا ..

هتفت فجأة :

- أبى .. إنه وحده .

سألتها (مشيرة) فى دهشة :

- ماذا تعنين ؟

- هبّت من مقعدها ، هاتفة :

- أبى وحده .

ثم اختطفت مفاتيح سيارة (مشيرة) ، وانطلقت تعدو خارج الحجرة ، وهى تصرخ فى عصبية شديدة :

- أبى يواجه الخطر وحده .

صاح الدكتور (حاتم) :

- الحقوا بها .. قد تؤذى نفسها .

انطلق (رمزى) خلفها ، وهو يهتف بها :

- انتظرى يا (نشوى) .. انتظرى .

ولكنها راحت تركض بسرعة مدهشة ، حتى تجاوزت المستشفى ، ثم وثبت داخل سيارة (مشيرة) ، وأشعلت محرّكها ، فاتجه إليها شرطى المرور ، وقال :

- معذرة يا آنستى الصغيرة ، ولكن القانون لايسمح لمن هم فى مثل سنك بقيادة هذه الـ ..

انطلقت فجأة بالسيارة ، قبل أن يتمّ عبارته ، فصاح فى غضب :

- توقفى ، أو أمنعك من القيادة طيلة عمرك .

ثم قفز فوق دراجته الصاروخية بدوره ، وانطلق خلفها ..

ولكنها لم تهتم ..

لقد جنّدت عقلها كله لأمر واحد ، منذ استعادت تلك الرسالة العقلية ..

أمر يتعلّق بوالدها ..

وبمصيرها ..

بل بمصير الأرض كلها ..

* * *

تفادى (نور) الطلقة بمعجزة ..

قفز مبتعدًا فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن يضغط ذلك المخلوق زناد بندقيته ، ورأى الأشعة تنطلق ، وتصيب الباب العجيب ..

ثم حدثت ظاهرة مدهشة ..

لقد اختفى الباب ، فور إصابته بالأشعة ، وظلّ مختفيًا لحظة ، ظهر خلالها ممر طويل خلفه ، قبل أن يعود الباب للظهور ، ويعود المخلوق لتصويب بندقيته إلى (نور) ..

وفى هذه المرة استلّ (نور) مسدسه من غمده ، وأطلق أشعته نحو المخلوق ، ولكن الأشعة أصابت صدر المخلوق ، وارتدّت عنه فى عنف ، فى حين صوّب هو بندقيته فى حزم ، وضغط الزناد ..

وفى هذه المرة تصوّر (نور) أنه هالك لامحالة ..

لولا تلك المفاجأة ..

لقد ظهرت (نشوى) فجأة ، من خلف المخلوق ، وانقضت عليه لتحيط عنقه بذراعيها ، فارتفعت فوهة بندقيته ، وانطلقت الأشعة إلى بقايا سقف الڤيلا ، الذى انهار على الفور ، فى حين لطم المخلوق (نشوى) فى عنف ، وألقاها أرضًا ، وصاح (نور) ، وهو يندفع نحوه :

- هل تضربون الفتيات فى كوكبك ؟



لقد ظهرت (نشوى) فجأة ، من خلف المخلوق ، وانقضت عليه لتحيط عنقه بذراعها ..

وبكل غضبه وعنفه ، كال للمخلوق لكمة كالقنبلة ، ألقته أرضًا ، وأسقطت بندقيته بعيدًا ، ولكن المخلوق نهض فى سرعة ، واستقبل هجوم (نور) الثانى فى خفة ، وأمسك قبضة (نور) ، قبل أن تبلغ فكه ، ثم لوى ذراعه خلف ظهره فى قوة ، ودفعه بقدمه فى منتصف عموده الفقرى تمامًا ..

وشعر (نور) بآلام مبرحة ، فى منتصف ظهره ، ولكنه قاوم لينهض ، ورأى المخلوق ينقضّ عليه ثانية ، و ...

وفجأة انطلقت الأشعة ، وأصابت المخلوق ، الذى انتفض فى قوة ، ثم هوى جثة هامدة ، وقد تحوّل إلى جسد رخو مخيف ..

وتطلع (نور) فى دهشة إلى (نشوى) ، التى بدت عجيبة الشكل ، فى ملامحها الطفولية ، وهى تمسك بندقية المخلوق ، وتقول فى اضطراب :

ـ لقد .. لقد أنقذتك .

لاحظ عمرها الذى انخفض أكثر ، ولكنه لم يعلق على هذا ، وإنما اتجه إليها ، والتقط البندقية من يدها ، وهو يقول :

ـ نعم .. أنقذت حياتى .

فحص البندقية بسرعة ، وهو يسترجع ما أخبره

(محمود) عنها ، ثم اتجه ببصره إلى دائرة صغيرة أسفل البندقية ، قبل أن يسأل (نشوى) :

ـ ولكن كيف وصلت إلى هنا ؟

قالت فى حيرة :

ـ لست أدرى .. لقد أخضعنى (رمزى) لجلسة تنويم مغنطيس ، وفجأة تلقيت رسالة عجيبة ، ثم رأيتك فى هذا الموقف ، تواجه ذلك المخلوق ، وأنبأنى شىء ما فى أعماقى ، أنه من الضرورى أن أهرع إليك على الفور ، وأنقذك .

تطلع إليها فى دهشة ، وقال :

ـ كيف حدث هذا ؟

هزت كتفيها ، وقالت :

ـ لست أدرى .

كان يرغب فى إلقاء عشرات الأسئلة عليها ، ولكنه لم يشأ إضاعة المزيد من الوقت ، فاستدار إلى الباب ، وهو يمسك بندقية المخلوق ، ويصوبها إلى الباب ، قائلاً لـ (نشوى) :

ـ لقد حضرت فى الوقت المناسب على أية حال .

أمسكت يده ، قائلة :

ـ سأصحبك .

قال فى حزم :

ـ كلا .. لست أدرى ما سنواجهه بالداخل .

كررت فى عناد :

ـ سأصحبك على أية حال .

أبعدها فى رفق ، وعاد يصوب البندقية إلى الباب ، ثم ضغط الدائرة الصغيرة أسفلها ، ورأى حزمة الأشعة فوق الصوتية تنطلق منها ، وتصيب الباب ، الذى اختفى على الفور ، فوثب عبره ، هاتفًا :

ـ انتظرينى يا (نشوى) .

ترددت لحظة ، وسمعت صوت دراجة الشرطى الصاروخية تتوقف ، أمام حطام الفيلا ، فحسمت ترددها ، واندفعت نحو الباب ، صائحة :

ـ سأصحبك يا أبى .

ووثبت نحو الباب ، الذى عاد إلى موضعه قبل أن تبلغه بسنتيمتر واحد ، وصاح (نور) :

ـ احترسى يا (نشوى) .

ولكن (نشوى) اخترقت الباب ، وأطلقت بدورها صرخة مدوية ، ثم سقطت عند قدمى والدها ..

سقطت كالجثة الهامدة .

★ ★ ★

٨ ـ وكانت النهاية ..

شحب وجه (سلوى) فى شدة ، وهى تستمع إلى (رمزى) ، وهوى جسدها على أقرب مقعد إليها ، وهى تردد :

ـ ماذا أصابها ؟.. هل فقدت عقلها ؟

أجابها الدكتور (حاتم) :

ـ بل فقدت اتزانها على الأرجح ، واستعادت عقلها الطفولى بكل عناده وحماقاته .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ هذا ليس صحيحًا .. تجربتى تثبت أنها مازالت تحتفظ برجاحة العقل .

قال الدكتور (حاتم) :

ـ كيف تفسر ما فعلته إذن ؟

أجابه (رمزى) :

ـ لقد أيقظنا فى عقلها رسالة ما ، أو أنه انطلق بكل قوته ، وتخطى حدود الزمان والمكان ، فأمكنها رؤية والدها ، وهو يواجه خطرًا ما .

انتفضت (سلوى) ، وهتفت :

ـ (نور) .. هل رأت (نور) يواجه خطرًا ما ؟

قال الدكتور (حجازى) فى سرعة :

ـ إنه مجرد احتمال .

هبت من مقعدها ، قائلة :

ـ وأنا أميل إليه .

ثم التقى حاجباها ، وهى تستطرد :

ـ وفى هذه الحالة ، يمكننى معرفة أين هما بالضبط .

اندفعت (مشيرة) إلى الحجرة ، فى هذه اللحظة ، وهتفت :

ـ المخلوقات هاجمت فيلا فى المقطم ، وسحقتها سحقًا ، ثم اختفت داخل الجبل ، وهناك شرطى مرور مصاب بالذهول ، ويقول :إنه شاهد فتاة صغيرة تعبر بابًا هلاميًا ، يتألق ببريق أخضر ، وأنها عبرته كما لو كانت مجرد شبح ، أو صورة هولوجرافية ، ثم أطلقت صرخة مدوية ، مازالت عروقه ترتجف لها حتى الآن .

هتفت (سلوى) فى هلع :

ـ (نشوى) !

وواصلت (مشيرة) :

ـ والقوات الخاصة تحتل المنطقة الآن ، وتحاول البحث عن وسيلة لدخول الجبل ، بعد أن فشلت محاولاتهم لعبور ذلك الباب العجيب .

قالت (سلوى) فى حزم :

- سأذهب إلى هناك .

وتبعها (رمزى) ، قائلا :

- وأنا أيضًا .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع صوت مألوف ، يقول :

- لاتنسيانى ، وإلا فلن يكتمل الفريق .

التفتوا جميعًا إلى مصدر الصوت ، وهتفت (سلوى) :

- (محمود) .. حمدًا لله .. إذن فقد نجوت .

صافحهم (محمود) فى إرهاق ، وهو يقول :

- من حسن الحظ ، فقد تجاوزت منطقة الخطر ، قبل لحظات من الانفجار ، ولكن هذا لم يمنع موجة التضاغط الناشئة من دفعى عدة أمتار إلى الأمام ، وإلقائى بمنتهى العنف فوق الرمال .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

- ولكننى نجوت على أية حال ، وعثر علىّ فريق الإنقاذ ، وأحضرونى إلى هنا .

ووضع يده على كتف (رمزى) ، مستطردًا فى حزم :

- إنه ترتيب القدر ، الذى قرّر أن ينطلق الفريق كله مرة أخرى لإنقاذ الأرض .

قال الدكتور (حجازى) فى خفوت :

- ليس المهم أن ينطلق الفريق لإنقاذ الأرض .

وتنهد فى عمق ، قبل أن يستطرد :

- المهم أن ينجح فى هذا ..

وكان على حق ..

المهم أن ينجحوا ..

* * *

شعر (نور) بقلبه يثب من صدره ، عندما سمع صرخة ابنته ، ورآها تخترق الباب ، ثم تهوى تحت قدميه ، فصاح :

- (نشوى) .. ابنتى :

اندفع نحوها يفحصها فى ذعر ، وشعر بأطرافها باردة كالثلج ، ولكن قلبها كان ينبض فى انتظام ، فتمتم :

- نفس ما أصاب (محمود) .. لو أن التأثير واحد بالنسبة للجميع ، فستستعيد وعيها بعد فترة قصيرة .

لم يكن من السهل عليه أبدًا أن يترك ابنته الوحيدة ، فى موقف كهذا ، ولكنه كان يعلم أن مصير الأرض كلها قد يتوقف على دقيقة واحدة ، يصل فيها إلى هؤلاء المخلوقات ، فى الوقت المناسب ..

دقيقة واحدة ..

بل ثانية واحدة ، قد تصنع فارقًا ضخمًا ..

وفى ألم ومرارة ، تمتم وكأنه يتحدث إلى ابنته :

- سامحينى يا (نشوى) .. أعلم أنك تحتاجين إلى وجودى ، ولكن مصير الأرض كلها قد يتوقف على وصولى فى الوقت المناسب .

انحنى يطبع قبلة على جبينها ، ثم اعتدل ، واستنشق الهواء فى عمق ، وألقى نظرة أخيرة على ابنته ، وهو يتساءل عما إذا كان سيراها مرة أخرى أم لا ، وبعدها اتخذ طريقه فى حزم ..

كان الممر طويلاً مظلماً ، ولكنه انتهى إلى قاعة هائلة ، حوت ذلك السلاح الرهيب ..

وفى ذهول ، حدّق (نور) فى السلاح الهائل ..

لم يصدّق أن هذا السلاح العملاق ظل يختفى ملايين السنين ، فى قلب جبل المقطم ، دون أن ينتبه إليه مخلوق واحد ..

كان سلاحاً فى حجم بناية متوسطة ، تتوسطه شاشة كبيرة ، ظهرت عليها صورة كوكب الأرض ، فى حين انهمكت المخلوقات الثلاثة فى إعداد السلاح ، استعداداً لتشغيله ..

والتقط (نور) نفساً عميقاً ، وهو يقول لنفسه :

- حمداً لله .. لقد وصلت فى الوقت المناسب ، قبل أن يبدأ تشغيل الجهاز .

شاهد على الشاشة صورة كوكب الأرض ، وهو يسبح

فى الفضاء ، ويدور فى فلكه المنتظم ، ورأى المخلوقات الثلاثة تتخذ مواقعها ، وتستعد لتشغيل الجهاز ، فقال فى حزم :

- فليبدأ القتال ، على بركة الله .

ومع آخر حروف كلماته ، تألق مصباح أحمر أعلى الشاشة ، وبرزت عدة أنابيب ضخمة من السلاح ، فوثب (نور) من مكانه ، وصاح :

- هذا من أجل الأرض ..

وأطلق بندقيته ..

ولكن المفاجأة لم تأت من نصيب المخلوقات الثلاثة ..

بل كانت من نصيبه هو ..

إن بندقيته لم تعمل ..

لم تطلق شيئاً على الإطلاق ..

وبدلاً من هذا ، التفت إليه الثلاثة ، ثم أشار أحدهم نحوه ، قبل أن يستلّ كل منهم سلاحاً مختلفاً ، عبارة عن كرة شفافة ، تمتدّ منها أنبوبة نصف شفافة ..

وانطلقت الأسلحة الثلاثة نحوه ..

وبقفزة جانبية . تفادى (نور) الأشعة التى انطلقت نحوه ، ورآها ترتطم بأحد أجزاء السلاح الرهيب ، وتنتشر حوله طبقة كثيفة من الجليد ، فتراجع فى سرعة ، وانطلق

يعدو مبتعدًا عن مرمى النيران ، ويختفى وسط أجزاء السلاح الضخم ، وسمع المخلوقات تتبادل مع بعضها حديثًا كالفحيح ، ثم سمع وقع أقدام اثنين منهم تتحرك فى المكان ، فى حين بقى الثالث أمام الشاشة التى تنقل صورة الأرض ..

وبصوت عميق ، وإيقاع رتيب ، راحت كلمات مبهمة تتردد فى المكان ، والمخلوقان يبحثان عن (نور) ..

وفهم (نور) مايعنيه هذا الإيقاع الرتيب ..

إنه العد التنازلى لبدء تشغيل السلاح ..

وعندما يتوقف هذا العد سيبدأ السلاح عمله ..

وتنهى الأرض عملها ..

وإلى الأبد ..

وتضاعف التوتر فى أعماق (نور) ، وهو يتحرك فى عصبية ، محاولا البحث عن مخرج ..

وفجأة برز أمامه أحد تلك المخلوقات ، وصوب إليه سلاحه الجديد ..

سلاح الجليد ..

وفى هذه المرة ، لم يكن هناك مفر ..

كان (نور) داخل ممر ضيق ، والمسافة التى تفصله عن المخلوق كبيرة ، ولايوجد مفرّ واحد ..

بل لايوجد أمل واحد ..

أدنى أمل ..

★ ★ ★

أشار أحد رجال فرقة الطوارئ إلى سيارة الفريق ، التى تقترب فى سرعة ، فضغط (رمزى) فراملها ، وأوقفها على قيد متر واحد من الرجل ، الذى قال فى حزم :

ـ معذرة أيها السادة ، ولكن هذه المنطقة مغلقة ، ولايمكن دخولها إلا بتصريح خاص .

أجابه (رمزى) :

ـ نحن أفراد فريق علمى خاص ، يتبع المخابرات العلمية .

ثم أبرز بطاقته ، وبطاقتى (محمود) و (سلوى) ، وطالع الرجل البطاقات الثلاث ، ثم أعادها إلى (رمزى) ، قائلًا :

ـ معذرة .. ولكن حتى هذا لايبيح لكم الدخول .

قالت (سلوى) فى عصبية :

ـ كيف هذا ؟.. زوجى وابنتى بالداخل ، و ...

قاطعها الرجل فى حزم :

ـ الأوامر تحتم وجود تصريح خاص .

كادت (سلوى) تحتد مرة أخرى ، ولكن فجأة سمع الثلاثة صوت قائد فرقة الطوارئ ، وهو يقول للجندى :

ـ دعهم يعبرون .. لقد أبلغتنا إدارة المخابرات العلمية بوصولهم .

أفسح لهم الجندى الطريق ، فى حين استقبلهم القائد ، قائلا :

ـ يبدو أنكم تمثلون أهمية بالغة ، فقد تلقيت أمرًا مباشرًا من القيادة العليا للمخابرت العلمية ، بالسماح لكم بالمرور ، ويقولون إن لديكم معلومات بالغة الأهمية ، بشأن ما نواجهه .

أجابته (سلوى) :

ـ إننا نعرف خطورة ذلك السلاح على الأقل .

تنهد القائد ، وقال :

ـ إننا لانعلم أى شىء ، سوى أننا هنا لمنع استخدام سلاح رهيب ، قد يؤدى إلى تدمير الأرض كلها .

قال (محمود) :

ـ إنه سلاح رهيب بحق .

سأله القائد :

ـ ومامعلوماتك عنه ؟

أجابه (محمود) :

ـ إنه سلاح لامثيل له على كوكب الأرض ، وهو عبارة عن أنابيب دفع قوية ، تمتد إلى باطن الأرض ، وتستخدم الحمم الملتهبة فى أعماقها ، لتستمد منها طاقة دفع خرافية ، يمكنها تحويل الجهاز كله إلى محرك عملاق ، يدور بعكس اتجاه دوران الأرض .

عقد القائد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله هذا ؟

أجابه (رمزى) هذه المرة :

ـ لو تم بحسابات دقيقة ، فإنه قادر بقوته الرهيبة على إيقاف دوران الأرض دفعة واحدة .

اتسعت عينا القائد فى ذهول ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! .. أيوجد شىء يمكنه هذا ؟!

قالت (سلوى) :

ـ فقط هذا الشىء ، والتوقف المفاجئ لدوران الأرض أمر بالغ الخطورة ، ففى البداية سيؤدى ذلك التوقف المباغت إلى حدوث خلل فى عجلة الجاذبية ، وستندفع الأجسام كلها بعيدا عن الأرض ، بفعل القصور الذاتى ، ثم تعود لتهوى فوقها بمنتهى القوة والعنف ، وهذا سيؤدى إلى مصرع الملايين فى لحظات معدودة ، أما من يتبقى على قيد الحياة فسيكون الأسوأ حظًا .. إذ أنه سيموت مع

مرور الوقت ، على نحو أكثر قسوة وبشاعة ، إذ أن توقف الأرض عن الدوران سيقسمها إلى قسمين .. قسم يواجه الشمس باستمرار ، وقسم مظلم باستمرار ، بعد أن يتوقف تعاقب الليل والنهار ، وفي القسم المواجه للشمس سترتفع الحرارة إلى حد رهيب ، فتغلي البحار والمحيطات ، ويموت البشر والحيوانات والطير ، وفي النصف الآخر تنخفض الحرارة مئات الدرجات تحت الصفر ، وتكسو الثلوج كل شيء ، ويموت أيضًا النبات والحيوان ، وحتى الإنسان .. هذا إلى جوار اختلال التوازن الحراري للأرض ، الذي سيؤدي إلى تحركات عنيفة بالغلاف الجوي ، ورياح مدمرة ، وأعاصير جارفة ، تقتلع كل شيء ، وتتفجر البراكين ، وتتصاعد الحمم ، و ...(*)

قاطعها قائد فرقة الطوارئ في توتر :

ـ كفى .. لم يعد الأمر يحتاج إلى المزيد من الشرح .

إلا أنه عاد يلقي سؤالاً آخر في اهتمام :

ـ ولكن لماذا يفعل هؤلاء الغزاة هذا ؟.. إنهم سيلقون مصيرنا نفسه .

أجابه (محمود) .

(*) حقيقة علمية ، تحدثت عنها كل النظريات التي ناقشت آثار أي توقف مباغت لدوران الأرض .

ـ لقد أعدوا مكانًا لمعيشتهم ، خلال تلك الفترة القاسية ، وبعد أن تفنى الحضارة تمامًا على كوكب الأرض ، سيعيدون تشغيل الجهاز على نحو عكسي ، فتعود الأرض إلى الدوران ، وتنتهي المرحلة القاسية ، ولايتبقى غيرهم على السطح ، فيرثون الأرض كلها .

قال في حيرة :

ـ يرثونها خالية من النبات والحيوان والطير ؟!

قال (رمزي) :

ـ إنهم يحتفظون بنماذج من حيواناتهم ، وطيورهم ونباتاتهم .. أو هم يتصوَّرون هذا ، فهم لايدركون أننا نسفنا كل ما أتوا به .

عقد القائد حاجبيه ، وقال :

ـ ولكن من الضروري أن نبلغ هذا السلاح في الوقت المناسب ، قبل أن ينجحوا في تشغيله .

قالت (سلوى) في لهفة .

ـ لقد جئنا لهذا السبب .. إننا نعرف كيف يمكنكم عبور الباب العجيب .. يكفي أن ترتدوا زيًا واقيًا ، وستعبرونه بأسهل مما تتصوَّرون .

استدار القائد إلى رجاله ، وقال :

ـ استعدوا يا رجال .. سنعبر الحاجز .

ثم التقى حاجباه فى حزم ، مع استطرادته :

ـ وسننقذ الأرض .

* * *

فى اللحظات التى يضيع فيها كل أمل ، تبرز فجأة مشيئة الله (سبحانه وتعالى) ..

المشيئة التي تتجاوز كل الحدود والقواعد ..

ففى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها المخلوق سلاحه الجليدى أو كاد ، ظهر مخلوق آخر خلف (نور) ، وصوّب إليه سلاحه الجليدى بدوره ..

وعندما ألقى (نور) نفسه أرضًا ، لم يكن يعلم بوجود المخلوق الثاني خلفه ..

وانطلقت الأشعة الجليدية ..

وسمع (نور) صوتًا كالفحيح ، جعله يلتفت خلفه ، ووقع بصره على المخلوق الثانى ، وقد تجمّد تمامًا ، داخل قالب من الثلج ..

أما المخلوق الآخر ، فقد ألجمته المفاجأة ، عندما أصاب زميله فتجمّد فى مكانه لحظة ، استغلها (نور) جيدًا ، فاندفع نحو المخلوق ، وركل سلاحه من يده ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا هذا .. لقد منحتنى فرصة مدهشة .

فقد المخلوق سلاحه ، ولكنه قاتل فى شراسة ، ودفع (نور) بعيدًا ، ثم ركله فى معدته بقوة ..

وشعر (نور) وكأن كتلة فولاذية أصابت معدته ، وألقته بعيدًا ، ولكنه نهض فى سرعة ، ورأى المخلوق يسرع نحو سلاحه ، فوثب إليه ، وركله فى وجهه بكل قوته ، وألقاه خارجًا ، ثم اختطف هو السلاح ، وقفز خلفه ..

نهض المخلوق ليهاجمه مرة ثالثة ، ولكن (نور) ضغط الكرة الشفافة ، كما رأى المخلوق يفعل من قبل ..

وانطلقت الأشعة الجليدية ..

وكما حدث مع المخلوق الأوّل ، سقط الثانى داخل قالب من الثلج ، وهتف (نور) :

ـ عظيم .. بقى واحد منهم فحسب .

انطلق يعدو إلى القاعة ، حيث الشاشة التى تنقل حركة الأرض ، والإيقاع الرتيب يواصل ترنده فى كل مكان ..

وفجأة انقضّ عليه المخلوق الأخير ..

انقضّ عليه على نحو مباغت ، وأطاح بسلاحه الجليدى ، ثم حمله فى قوة ، وألقاه نحو الجدار فى عنف ..

وارتطم (نور) بالجدار ، وتأوّه فى ألم ، ولكنه تحامل

على نفسه ، وواجه المخلوق ، الذى انقضّ عليه مرة ثانية ، وحمله فى سرعة ، ثم ألقاه أرضًا ، وهوى بقدمه على معدته ..

وأطلق (نور) شهقة ألم رهيبة ، وأمسك معدته بكفيه ، والدماء تتصاعد إلى فمه ، وتسيل من طرف شفتيه ، فى حين تراجع المخلوق مرة ثانية ، استعدادًا للانقضاض عليه انقضاضة أخيرة ..

وكان (نور) واثقًا من أنها الأخيرة ..

الانقضاضة السابقة مزّقت معدته ، وكادت تقتله ..

والقادمة ستورده حتفه حتمًا ..

ولكن فجأة انطلق شعاع جليدى فى القاعة ..

وتجمّد المخلوق الأخير داخل قالب من الثلج كزميليه ..

وبحركة حادة ، التفت (نور) إلى حيث انطلقت الأشعة ، ورأى (نشوى) هناك ، عند مدخل القاعة ، وهى تحمل السلاح الجليدى ، وتقول :

ـ أنقذتك مرة ثانية يا أبى .

حدّق (نور) فى وجهها بدهشة ، وقال :

ـ (نشوى) ..لقد ..

لم يستطع إتمام عبارته ، مع مذاق الدم فى حلقه ، ولكنها فهمت ، وقالت :

ـ أعلم يا أبى .. لقد انخفض عمرى مرة أخرى .

كانت تبدو هذه المرة كطفلة فى الثانية عشرة من عمرها ، فاتسعتْ عيناه فى هلع ، وهو يقول :

ـ لابد أن نوقف هذا .. لابد .

اشتعل مع آخر كلماته مصباح أزرق ، أعلى الشاشة ، وراح الإيقاع الرتيب يتردد بسرعة أكبر ، فهتف (نور) :

ـ وهذا أيضًا ..

وأسرع إلى الجهاز ، والدماء تسيل من بين شفتيه فى غزارة ، وراح يفحص كومة الأزرار التى أمامه ، هاتفًا :

ـ أيها يوقفه .. رباه .. أيها يوقفه .

صعدت إليه (نشوى) ، وألقت نظرة عامة على الأزرار ، ثم قالت فى حزم ، وهى تضغط زرًا فى منتصفها :

ـ هذا .

لم تكد تفعل ، حتى توقف الإيقاع الرتيب فجأة ، وانطفأت كل المصابيح ، ثم اختفت صورة الأرض من الشاشة ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها رجال فرقة الطوارئ المكان ، وهتفت (سلوى) بينهم :

ـ (نور) .. (نشوى) .. أأنتما بخير ؟

أما قائد الفرقة ، فقد اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يقول :

ـ رباه !.. أهذه البناية الضخمة هى السلاح الرهيب ؟
قال (نور) ، وهو يمسك معدته فى ألم :
ـ نعم .. ولكنه لم يعد يعمل .
ثم أشار بيده إلى المخلوقات المتجمدة ، واستطرد :
ـ وهؤلاء أيضًا .
قالها ومادت به الأرض ، ثم هوى فاقد الوعى ..
وهتفت (نشوى) مع أمها فى صوت واحد :
ـ يا إلهى !
وأسرعتا إليه فى لحظة واحدة ، وعندما التقتا عنده ، حدقت (سلوى) فى وجه ابنتها ، وقالت :
ـ (نشوى) .. إنك ..
قاطعتها (نشوى) :
ـ فيما بعد يا أمى .. فيما بعد .
ولكن قلب (سلوى) انقبض فى هلع ..
صحيح أن الأرض قد نجت ، ولكن ابنتها مازالت تواجه الخطر ..
خطر الموت بانخفاض عمر بلا نهاية ..
وضد الزمن .

★ ★ ★

ثم أشار بيده إلى المخلوقات المتجمدة ، واستطرد :
ـ وهؤلاء أيضًا ..

٩ ـ الختـــام..

سار الدكتور (ناظم) فى خطوات سريعة ، عبر الممر المؤدى إلى حجرة جراحات الطوارئ ، واتجه مباشرة إلى (رمزى) و (محمود) ، اللذين يجلسان أمام حجرة الجراحات ، وسألهما :

ـ كيف حال (نور) الآن ؟

أجابه (رمزى) :

ـ لقد أصيب بتمزق فى معدته ، وهم يجرون له جراحة بالداخل ، ولكن الدكتور (حسن) يؤكد أنه سيشفى بإذن الله .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه متفهمًا ، وقال :

ـ حمدًا لله .

سأله (محمود) فى اهتمام :

ـ وماذا عن (تشوى) ؟

تنهّد الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ مازال الدكتور (حاتم) يحاول السيطرة على انخفاض عمرها المستمر ، وأمها ترافقها طوال الوقت ، ولكن يبدو أن الأمر ليس سهلًا .

سأله (رمزى) فى مرارة :

ـ كم يبلغ عمرها الآن ؟

أجابه فى خفوت :

ـ تسع سنوات .

زفر (رمزى) فى توتر ، وأشاح بوجهه ، مغمغمًا :

ـ يا للمسكينة !

شعر (محمود) بما يعانيه (رمزى) ، فقال محاولًا الخروج من الحديث :

ـ ماذا فعلتم بالمخلوقات المتجمدة ، والسلاح الضخم ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ لقد اتخذنا قرارًا بنسف ذلك السلاح؛ لمنع أية محاولة لاستخدامه فى المستقبل ، وتلاشى خطره إلى الأبد ، أما بالنسبة للمخلوقات ، فقد قتلتها الأشعة الجليدية ، ولكننا تمكنا من فحصها ، وهى لذكر واثنين ، لم يجدوا الوقت الكافى لبدء حلقة جديدة من حضارتهم .

قال (محمود) :

ـ لم يكن مقدّرًا لحضارتهم أن تستمر .

ثم التفت إلى (رمزى) ، يسأله :

ـ أليس كذلك يا (رمزى) ؟

ولكن (رمزى) لم يجب ..

إنه حتى لم يسمع ما قاله (محمود) ..
كان ذهنه شاردًا ، يفكر فيها ..
فى (نشوى) ..
لم يشعر فى حياته كلها بالخوف عليها ، مثلما يشعر الآن ..
لقد تحققت نظرية الدكتور (حاتم) ..
انخفاض عمرها لم يتوقف عند حاجز السنوات العشر ..
إنه يواصل الانخفاض ..
وسيواصله حتى تتلاشى ..
أو يعثروا على الحل ..
وفى أعماقه كان يشعر أن الحل يكمن فى تلك الرسالة ، المغروسة فى عقلها ..
ولكن كيف يخرج هذه الرسالة ؟..
كيف ينقذها ؟!..
كيف ؟!..
وبقى سؤاله حائرًا ضائعًا ..
وبلا جواب .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥